مسجد قرطبة الجامع
دراسة في تاريخ بنائه
(٩٢-٦٣٣ هـ / ٧١١- ١٢٣٦م)*

أ.م. د. كريم عجيل حسين م.م وفاء محمد سحاب العاني
قسم التاريخ - كلية الآداب – جامعة الانبار

-١-
مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته وسار على هديه إلى يوم الدين ...وبعد فالإسلام دين حضارة،ودين سمو بالإنسان إلى مستوى الاختيار الرباني،الذي أراده له خالقه العظيم،الذي سخر له ما في السماوات والأرض،ووهبه القدرة على اكتشاف واستخدام القوانين الطبيعية،تحقيقاً للرقي المنشود لحياة الإنسان، وديمومة استمرار تقدمها المتوازن، ضماناً لتحقيق السعادة له ولمجتمعه.

فتح العرب المسلمون أرضَ الأندلس فتح حضارة،فالجند الفاتح لهذا الجزء من القارة الأوربية، لم يكن على شاكلة الغزاة الذين وطأت أقدامهم وحوافر خيلهم أرضه من قبل . ولم يكن الجند العربي الإسلامي، الذي تدفق على أقصى الجنوب الغربي لقارة أوروبا، مثل جند الرومان والقبائل الجرمانية ،وسواهم من الأقوام، التي غزت أرض هذه البلاد عبر التاريخ. كان الفاتحون العرب مختلفين عن كل أولئك في الدوافع والأهداف والسلوك. إنهم حملة رسالة ربانية حضارية إنسانية، إرتضاها للناس خالقهم العظيم،آمن العرب بها،وأقاموا حياتهم وفقها،وانساحوا بها في الأرض شرقاً وغرباً ،فكانوا بحق رسل هداية ورحمة للناس كافة.كان جند القائد طارق وجند الوالي موسى بن نُصير، حملة مشعل هداية وخير لإنسان الجزيرة الأندلسية ،كان بينهم عدد من التابعين، الذين تتلمذوا بمدرسة صحابة الرسول الكريم، ومنهم حفظة القرآن ،كتاب الله تعالى الخالد،الذي يهدي إلى الرشد،وبينهم رواة الحديث الشريف،حديث سيد ولد آدم ،الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق،وبينهم الفقهاء بأحكام الشريعة الإسلامية، التي ارتضاها للناس خالقهم الكريم،وبينهم الكُتّاب والشعراء والأدباء ورواة الأخبار وحفظة الأنساب،وبينهم المهرة في كل شأن من شؤون الحياة، وبينهم بناة الحياة الكريمة،التي أراد أن يحياها الناسَ ربهمُ الكريم.

إن الفاتحين الذين دخلوا الأندلس،ومن تدفق عليه بعدهم من العرب، عاشوا لعدة عقود مضت في ظلال الحياة الجديدة، التي أحدثتها التحولات الجذرية التي جاء بها الإسلام.ونعم معتنقوه ومن عاش في ظلال دولته،بمعطيات التحولات الجديدة التي حققها في حياتهم.تحقق للناس الحرية الحقة والعدل الذي كانوا يتطلعون إليه من أمد بعيد.كان دخول العرب المسلمين إلى الأندلس، مؤذناً بدخول نور الإسلام وأفق حياته السامي ، وتدفقاً لمعطيات حضارته الراقية ، تلك الحضارة التي كرمت الإنسان ، وأعلت من شأنه وأطلقت حرياته، وألقت عنه قيوده، التي كبله بها جهله وهواه، وطواغيت الأرض، من الملوك والحكام، وأدعياء الدين، وسدنة معابد القهر والابتزاز للإنسان ، وهيأت له أن يبدع في كل ميدان ، بعد أن حررته من كل ألوان الخوف والقهر،وتركت له حرية اختيار معتقده ومذهبه ، وضمنت له حرية التنقل واختيار نوع العمل الذي يرغب بممارسته والتنافس على فرص الحياة وتطويرها بروح إنسانية سامية.

في ضوء هذه المعاني وسواها ، نستطيع أن نفسر سر تلك النهضة الحضارية المدهشة، التي أحدثها العرب والمسلون على أرض الأندلس، والتي شارك في إنجاز معطياتها وبتفاعل حيّ الفاتحون، ومن دخل الأندلس بعدهم من العرب والمسلمين ، وأهل البلاد على حد سواء . وعلى ضوئها ندرك كذلك أسباب بقاء سائر أوروبا، التي لم يصل إليها العرب المسلمون متخلفة ، ولقرون عدة في ميادين الحضارة، في حين نعمت الأندلس لما يزيد على ثمانية قرون، بثمار معطيات الحضارة العربية الإسلامية،وتركت آثارها وتأثيراتها على هذا الجزء وغيره من أوروبا.

أصبحت مدينة قرطبة حاضرة العرب في الأندلس ، قبل نهاية القرن الأول الهجري.لما حباها الله تعالى من موفور الخيرات،فهي تتمتع بمناخ معتدل ،وتقع على نهر الوادي الكبير.وتمتاز تربة أرضها بالخصب،فكانت غلالها لذلك متنوعة ووفيرة.وإذا كان العرب لم يفضلوا اتخاذها مقراً للولاية في سنوات الفتح الأولى،بسبب عدم إطمئنانهم على توفر الأمن فيما حولها،فإنهم نقلوا إليها مقر الولاية عندما تحققوا من توفره،وجاءت تطورات الأحداث في اشبيلية،حاضرة العرب الأولى في الأندلس،في عهد الوالي عبد العزيز بن موسى،مشجعة على مغادرها وإتخاذ غيرها ،فوقع الأختيار على مدينة قرطبة ،لتكون حاضرة العرب في الأندلس طوال عهد الولاة والإمارة والخلافة.

إن من أبرز معالم مدينة قرطبة العمرانية، ويعبر تعبيراً حقيقياً ، عن قيم وحركة مجتمعها ، والتطورات التي شهدها،

ويكشف عن قدرات أهل الأندلس؛ السياسية والاقتصادية والفنية والمعرفية والفكرية ، هو مسجدها الجامع . الذي شهد تطوراً مستمراً في بنائه وفي فنون زخرفته وفي نوع وحجم مقتنياته وفي الخدمات المقدمة فيه وفي الأدوار الحضارية المتعددة التي نهض بها طوال تاريخ قرطبة العربية الإسلامية ، الذي استمر خمسمائة وخمسة وعشرين عاماً(٩٢-٦٣٣هـ/ ٧١١-١٢٣٦م) .

-٢-
إتخاذ مسجد قرطبة الجامع في عهد الفتح والولاة

١. **اختيار موقع مسجد قرطبة الجامع**: بدأ الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا في رجب سنة (٩٢ هـ / نيسان ٧١١ م) ، بقيادة طارق بن زياد ،الذي عبر المضيق بسبعة آلاف مجاهد،وأكتمل العدد لديه قبيل المعركة الفاصلة،فبلغ إثنتا عشر ألف مقاتل [١] . التقى الجيشان الإسلامي والقوطي في معركة كورة شذونة،(من ٢٥ رمضان إلى ٣ شوال من سنة ٩٢هـ / أواسط تموز سنة ٧١١م)،وبالرغم من قلة عدد المسلمين الذي لم يزد على اثني عشر ألف مقاتل، موازنة بعدد جيش القوط الذي بلغ عَددهُ ،وفق اقل التقديرات ،أربعين ألف مقاتل، فإن النصر كان حليف المسلمين في تلك المعركة الفاصلة [٢] .

بعد هذه المعركة انساح الفاتحون المسلمون في شبه الجزية الآيبيرية، يتتبعون فلول الجيش القوطي المنهزم ،ويبسطون سلطان الإسلام على مدن وقرى شبه الجزيرة الآيبيرية .كان هدف حركة الجيوش الإسلامية الفاتحة الأول هو إيصال نور الإسلام إلى الناس ،بتوفير الحرية لاختيارهم له أو البقاء على أديانهم ومعتقداتهم . تطلب هذا الأمر وجود مكان مستقل لأداء الصلاة وتعليم الناس شؤون دينهم فكان بناء المساجد من أول اهتمامات العرب عندما فتحوا الأندلس ،وتلك سنة متبعة عندهم،فكان بناء مسجد الرايات، وسواه من المساجد التي تم بناؤها في عهد الفتح والولاة [٣] .

استدل المسلمون بما فعله أبو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بالشام من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً [٤]، فشاطر المسلمون أعاجمَ قرطبة كنيستهم العظمى، التي كانت داخل مدينتها ،تحت السور، وكانوا يسمونها بشنت بنجنت، وابتنوا في ذلك الشطر مسجداً جامعاً ،وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى ،وكان ذلك في تاريخ لايتجاوز سنة ٩٢هـ/٧١١م [٥] .

شارك في عملية تخطيط المسجد الجامع بقرطبة، عدد من التابعين الذين دخلوا الأندلس عند الفتح،ومنهم التابعي حنش الصنعاني،الذي حدد قبلة الجامع في قرطبة ، كانت هذه القبلة منحرفة بعض الشئ عن الاتجاه الصحيح ،وبرغم ذلك فقد بقي المسجد محتفظاً بذلك الاتجاه في قبلته،على الرغم من كل التعديلات والزيادات التي حصلت فيه ،تقديراً وإنفاذاً لما اجتهد فيه ذلك التابعي الجليل في تحديدها [٦] .وممن شارك في بناء وتخطيط المسجد الجامع بقرطبة التابعي أبو عبد الرحمن الحبلي [٧] .

٢.أسباب اختيار مكان مسجد قرطبة الجامع : إن اختيار المسلمين لكنيسة قرطبة لبناء المسجد في شطر منها لا يعد عملاً غريباً أو استثنائياً في بلد كالأندلس ، فقد فعل المسلمون مثل ذلك في اشبيلية ، عندما أقاموا مسجدهم في كنيسة ربينة Santa rufina[٨] ، وهذا يماثل ما قام به العرب في بلاد أخرى بعد فتحها ومنها،كما ذكرنا، بلاد الشام [٩] .

من الواضح أن العرب المسلمين في مراحل الفتح الأولى للأندلس ، لم يكن لديهم متسع من الوقت ، وهم على صهوات الخيل ، لبناء المساجد ، غير أن إحداث تحويرات بسيطة في بناء قائم،ليكون مسجداً جامعاً، ممكن وميسر ، خاصة إذا حصلوا من أصحابه صلحاً على تملكه كاملاً أو مناصفة .إن مشاطرة المسلمين نصارى اسبانيا كنيسة قرطبة ترجم هذه المعاني ، وصدر عن حرص المسلمين أن يكون مركز عبادتهم وهو المسجد الجامع مجاوراً لمركز عبادة النصارى ،وهو الكنيسة، وفي هذا تعبير عن إيمانهم بوحدة أهل الإيمان وتصديقهم بنبوة الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين.لكن ألم يكن الأولى بالمسلمين أن يبنوا مسجدهم في مكان آخر غير شطر كنيسة قرطبة،حتى لو تأخر هذا البناء إلى وقت لاحق على سنة الفتح الأولى ؟ صدوراً عن روح التسامح التي جاء بها الإسلام وتعبيراً عن احترامه لأصحاب الديانات السماوية الأخرى وتأكيداً على أن المسلمين تركوا للآخرين حرية المعتقد وحرية اختيار الدين ؟ لو حصل ذلك لكان خيراً للمسلمين [١٠] .

-٣-
تاريخ بناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الإمارة

١. **بناء مسجد قرطبة الجامع في عهد مؤسس الإمارة**: بدأ عهد جديد من التطور والتقدم في الأندلس في كل ميادين الحياة بعد النجاح الذي أحرزه الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥ - ٧٨٨م)[١١] في تحقيق الوحدة لأهل الأندلس ، جاء هذا منذ بداية النصف الثاني للقرن الهجري الثاني فاتجه الناس إلى العمل وفي كل ميدان ، وازداد توجه الناس إلى قرطبة حاضرة الإمارة مفضلين السكن فيها لما تمتعت به من موقع جغرافي في وسط الأندلس ، ولما كان لها من موقع متميز على نهر الوادي الكبير [١٢] ، ولما حباها الله من معطيات طبيعية متنوعة ووفيرة [١٣] .

عني الأمير الداخل أيضاً ببناء القصور والمتنزهات ، ومن أشهر ما ذكر له أمره ببناء رصافة قرطبة . حاكى الأمير الداخل بها رصافة جده الخليفة هِشام بن عبد الملك . نقل إليها من بلاد الشام وسواها غرائب الغروس وأكارم الشجر، فنمت بحسن التربة الموجودة في حدائقها أنواع من الأشجار، وأثمرت بغرائب من الفواكه وانتشرت منها في باقي مدن الأندلس وقراه [١٤] . كان الأمير الداخل أول من أدخل إلى قرطبة العديد من المظاهر الحضارية [١٥] .

حظيت مدينة قرطبة ، من الأمير عبد الرحمن الداخل ، بعناية كبيرة ، فهي مركز الإمارة ، لذلك وبعد قضائه على أبرز المنازعين والمنافسين له على الإمارة ، شرع في سنة ١٤٩ هـ ببناء سور حول مدينة قرطبة [١٦] ، ليزيد من تحصينها ، بهدف تحقيق الأمن لمقر الإمارة وأهلها .

جاءت الخطوة الثانية من الأمير ، عندما أصدر أوامره بإقامة قصر الإمارة [١٧]، كانت توجيهاته أن يكون بناء هذا القصر محكماً ، يحقق الأهداف المرجوة منه ، ومنها أن يكون البناء

ISSN 1995-8463

مناسباً للمرحلة الجديدة من عمر الإمارة ويعبر عن مكانتها ويضفي عليها مزيداً من الأبهة التي تليق بها وبمجتمع قرطبة وما كان للأمير وأجداده من أمجاد ، وما تحقق له ولأنصاره ، من ظهور في بلاد الأندلس.

كانت الحواضر الإسلامية الكبرى لا تتسع إلا لمسجد جامع واحد ، غير إن كل حي من أحيائها يحفل بمسجد أو أكثر، حتم هذا الأمر توسعة المساجد الجامعة بإستمرار، لتلبي زيادة عدد المصلين فيها ، والذي كان يتزامن مع الزيادة بعدد السكان بفعل الزيادة الداخلية التي تتبع الاستقرار والرفاه الاقتصادي والاجتماعي وبفعل الهجرة إليها من القرى والمدن الأخرى لتوفر عوامل الجذب المختلفة ، التي توجه حركة الناس من مكان لآخر[١٨]، وهذا ما حصل مع حاضرة الأندلس قرطبة ، ومنذ عهد الإمارة ، فازداد عدد سكانها زيادة استوجبت إحداث زيادات في مسجدها الجامع ، ليتسع لأعداد المصلين المتزايدة وباستمرار من المسلمين أحفاد الفاتحين الأوائل وأحفاد الداخلين الأوائل إلى الأندلس ، وأبناء من أسلم من أهل البلاد وأحفادهم ، وأبناء الأسر الجديدة التي تكونت على أرض شبه الجزيرة من زواج المسلمين من نساء المجتمع الاسباني [١٩] .

تفرغت الإمارة، في عهدها مؤسسها ،إلى البناء ،بعد أن طوت صفحة المواجهات العسكرية مع المنازعين الداخليين، وما جرته نزاعاتهم إلى نزاعات خارجية، وبعد أن هدأت جبهة المخاطر الخارجية. اتجه نظر الأمير الداخل بعد تحصين قرطبة وبناء قصر الإمارة إلى مساجد الأندلس عامة فأمر بتوسعتها وإصلاحها وبناء مساجد جديدة في سائر مدن وقرى الأندلس .كان نصيب قرطبة من المساجد التي أمر ببنائها كبيراً ، بسبب تزايد عدد سكانها ، فبلغ عددها في عهده (٤٩٠) مسجداً [٢٠]،وهو رقم مهم يشير إلى اتساع عمران قرطبة ، و زيادة عدد المصلين في أحيائها .إن تزايد عدد سكان قرطبة له أسبابه فهي حاضرة الأندلس في عهد الولاة [٢١] ، واستمرت كذلك في عهد الإمارة ، ومنذ عهد مؤسسها ، فكانت مستقر الجلة من العلماء والأدباء .وكانت متطلبات الإمارة بمؤسساتها الجديدة وما رغبت في تحقيقه من مشاريع في البناء والحرب أسباباً قوية لتوجه كل صاحب حرفة وكل صاحب تجارة وكل صاحب موهبة إليها فازداد عدد سكان قرطبة بسبب ذلك.وقد صاحب تلك الزيادة في السكان إتساع في الحركة العمرانية ، فأصبح عدد أرباض مدينة قرطبة وحدها واحداً وعشرين ربضـــاً [٢٢] .والتي تطلبت وجود المساجد فيها وزيادة أعدادها لتلبي الزيادة الحاصلة في أعداد المصلين سواء من المسلمين وابنائهم واحفادهم أم من الداخلين في الإسلام من أهل البلاد وأبنائهم .

بعد أن رأى الأمير الداخل ضيق مسجد قرطبة الجامع ، بسبب تزايد أعداد المصلين فيه ، إذ جعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى نال الناس من الوصول إلى داخل المسجد الأعظم مشقة عظيمة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها ، حتى ما أمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الأرض [٢٣] ، لذلك أمر الأمير عبد الرحمن الداخل بدعوة أعاجم قرطبة ، وساومهم على ما بقي بأيديهم من كنيستهم الملاصقة للمسجد الجامع لكي يدخله ضمن المسجد وأوسع لهم البذل والعطاء فيه وفاءاً للعهد الذي صولحوا عليه فأبوا في بداية الأمر وسألوه بعد إلحاحه أن يبيح لهم بناء كنيستهم التي هدمت بخارج مدينة قرطبة فوافق الأمير على هذا الطلب وخرجوا عن الشطر الذي كان بأيديهم من كنيسة قرطبة فأدخله في الجامع الأعظم [٢٤]، وبذلك حظي هذا الجامع وباستمرار بعناية الحكومة الأندلسية وبتفاوت منذ عهد الأمير الداخل وفي عهود الأمراء والخلفاء من بعده [٢٥] .

وبين المصادر خلاف في تاريخ شروع الأمير عبد الرحمن الداخل في هدم ما حصل عليه من الكنيسة صلحاً والبدء بإضافة مساحتها إلى مسجد قرطبة الجامع ، فالرواية الأولى : تجعل البداية سنة (١٦٩ هـ) ، وإكتمال بناء بلاطاته وأسواره في سنـــــة (١٧٠) هـ [٢٦] .

أما الرواية الثانية التي انفرد بإيرادها صاحب نفح الطيب فتجعل بداية البناء سنة (١٦٨ هـ) [٢٧] .

ونميل إلى ترجيح الرواية الأولى التي أوردها ابن عذارى وابن خلدون لإنفراد المقري التلمساني بالرواية الثانية ولتقدم صاحبي الرواية الأولى عليه في الزمن ، وقربهم إلى ما ألفه الأندلسيون في التاريخ .

كان اتساع البلاط الواحد (٦,٨٦ متراً) غير ان البلاط الأوسط يزيد اتساعه عن ذلك بقليل إذ يبلغ (٧,٨٥ متراً) ، يتضح من هذا الوصف أن طول المسجد الجامع بلغ (١٨٠) باعاً نصفه مسقف ، وهو ما نعبر عنه بالحـــرم ، والنصف الثاني وهو الصحن ، وكان مكشوفاً [٢٨].

وكان سقف المسجد من الداخل مبطن بالخشب ، من عيدان الصنوبر، ومنقوش عليه بزخارف هندسية ملونة ، وقد أورد وصفها الحميري(ت٧١٠هـ) بقوله : (وفي سقائفه من ضروب الصنائع والنقوش ما لا شبه بعضها بعضاً وقد أحكم ترتيبها وأبدع تكوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والخضرة) [٢٩] .

امتدت داخل بيت الصلاة صفوف من الأعمدة الممتدة إلى ما لا نهاية بعقودها المزدوجة ، بحيث يخيل للناظر إليها كأنها غابة من النخيل ، وكان صحن الجامع مغروس بالأشجار ، فقد عهد الأمير عبد الرحمن إلى عبد الله بن صعصعة الشامي (ت١٩٢هـ) [٣٠] وهو صاحب الصلاة بقرطبة في ذلك الوقت ، بأن يغرس صحن المسجد بالأشجار من الليمون والنارنج والبرتقال ، وهي من الأشجار التي ادخلها العرب إلى الأندلس وقد سار بقية الأمراء والخلفاء على هذا النهج وهو غرس الأشجار في صحن المسجد [٣١] .

واتخذ الأمير عبد الرحمن أحد أبراج قصر قرطبة الملاصق للمسجد ليقوم مقام المئذنة ، حتى يتهيأ له الوقت المناسب لإقامة المئذنة فيما بعد ، ولم تكن في المسجد سقائف لصلاة النساء في ذلك الوقت ، فالموت أدرك الأمير الداخل ، قبل إتمام هذه الأمور بالمسجد فأتمها ولده الأمير هشام من بعده واستكمل ما كان ناقصاً [٣٢] .

المسجد الذي أمر ببنائه الأمير عبد الرحمن الداخل في قرطبة ، من أعظم الصروح المعمارية وأبهاها ، إذ يمثل أروع إنجاز حضاري أقامه المسلمون في الأندلس وهم لا يزالون منشغلين في هذا العهد بتوطيد استقرار البلاد .

أورد الحميري وصفاً لمسجد قرطبة الجامع ، عند اكتمال بنائه في أواخر عهد الأمير الداخل ، إذ قال : إنه ليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً ، طوله مائة باع وثمانون ، نصفه مسقف ونصفه صحن بلا سقوف ، وفيه

ISSN 1995-8463

أربع عشرة قوساً في كل بلاط [٣٣] ، وتقوم الأقواس على أعمدة من الرخام [٣٤] .
إن الأعمال التي أمر بها الأمير الداخل بخصوص مسجد قرطبة الجامع تجعله المؤسس الحقيقي له . نظراً لأنه استكمل استملاك النصف الثاني من الكنيسة ويبدو لنا انه أعاد بناء المسجد بصورة كاملة من جديد .

٢.الزيادة ببناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير هشام :
تولى الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) [٣٥]، الحكم بعد والده الأمير عبد الرحمن الداخل ، الذي ترك الإمارة الأموية وهي قوية موحدة ، بعد قضائه على كل الخارجين عليه [٣٦].
وتميز الأمير هشام بكونه من أهل الصلاح والخير ، وكان كثير الغزو والجهاد [٣٧] ، كما كان مهتماً بالأمور العمرانية ومن أدلة ذلك أمره بتجديد بناء القنطرة وإحكامها والتي بناها الوالي السمح بن مالك الخولاني ، بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه- والتي يضرب بها المثل في قرطبة ، فأحكم الأمير بناءها إلى الغاية ، يذكر أنه قال يوماً لأحد وزرائه : ما يقول أهل قرطبة عن القنطرة ؟ فقال : يقولون ما بناها الأمير إلا ليمضي عليها إلى صيده وقنصه فآلى الأمير هشام على نفسه أن لا يسلك عليها إلا للجهاد وقد وفى بما حلف عليه [٣٨] .
وكان الأمير هشام ، كما بدى لأهل عهده ، شديد الورع والتقوى ، وكان شغفه بإعلاء كلمة الله من أخص مظاهر تقواه ، كان ينفق الأموال الطائلة في افتداء أسرى المسلمين ، حتى لم يبق في عهده منهم في قبضة العدو أحد ، وأمر بترتيب ديوان لأرزاق أسر الجند المتوفين في الجهاد [٣٩] ، كما كان يؤثر مجالس العلم والأدب ، ولا سيما الحديث والفقه ، وفي عصره ذاع مذهب الإمام مالك - رضي الله عنه- في الأندلس ، إذ كان الأمير هشام كبير الإجلال للأمام مالك ومذهبه [٤٠].
ويعد الأمير هشام أول من ابتدأ الزيادة في مسجد قرطبة الجامع ، بعد العمل الكبير الذي قام به والده الأمير الداخل ٠ كان المسجد عند وفاة والده الأمير عبد الرحمن صالحاً لإقامة الصلوات ، إلا أنه كانت تنقصه الكثير من الأعمال البنائية التكميلية ، التي تستلزم وقتاً إضافيا لبنائها ، فلما تولى الأمير هشام ، زاد في المسجد وأكمل ما كان ينقصه من الأعمال ، التي لم يتهيأ الوقت الكافي لإنجازها في عهد والده ، ومن بين ما كان ينقصه المأذنة فأمر بإضافة صومعة إلى بناء المسجد الجامع ، كان ارتفاعها أربعين ذراعاً إلى موضع الأذان [٤١] ، وكان طول كل حائط من حيطان منارة الجامع على الأرض ثمانية عشر ذراعاً [٤٢].كما وجه الأمير هشام ببناء سقائف لصلاة النساء بآخر المسجد[٤٣] .
وبذلك استكمل مسجد قرطبة الجامع ما كان ينقصه وأضيف إليه ما زاد في استيعابه لجموع المصلين من رجال ونساء وتوفير أهم ما يحتاج إليه المصلي الداخل إلى المسجد وهي مياه الوضوء فأمر ببناء الميضأة العجيبة بشرقي الجامع [٤٤].

٣.الزيادة ببناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير الحكم : تولى الأمير الحكم بن هشام أمر الأندلس (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) [٤٥]بعد وفاة والده الأمير هشام بن عبد الرحمن ٠ كان الأمير الحكم يتميز بالحزم والشجاعة ، وكان شديد الوطأة على خصومه والخارجين عليه ، وكانت تحدوه مع ذلك نزعة إلى الإنصاف والعدالة [٤٦] ، كما حدث معه في الهيج المعروف بهيج الربض .
وتميز عهد الأمير الحكم ، بازدياد عدد المسلمين في قرطبة ، موازنة بما كان عليه الأمر قبل ذلك ، بسبب الاستقرار السياسي ، الذي نعمت به قرطبة والأندلس في عهد الأمير الداخل ، بدءاً من سنة (١٥٠هـ) ، وفي عهد خلفه الأمير هشام ، فضلاً عن هذا فإن قرطبة بسبب وظيفتها السياسية والإدارية وما تمتعت به من مكانة عالية ، أصبحت مكان جذب للمسلمين في الأندلس وللمسلمين من خارج الأندلس ، فكان ذلك من أسباب زيادة عدد سكانها الذي أدى بدوره إلى توسع عمرانها بشكل كبير ، فأصبح البنيان خارج سور المدينة القديم [٤٧] .أصبح عدد دورها ثلاثة وثلاثين ألف وعدد أرباضها واحداً وعشرين ربضاً [٤٨] .
ومن الناحية الاقتصادية كثرت الأموال في عهد الأمير الحكم [٤٩] ، إذ بلغت جباية الأقاليم في أيامه للعام ، مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومن وظيفة القمح مدياً أربعة آلاف مدي وستمائة مدي وسبعة وأربعون مدياً ، ومن الشعير سبعة وأربعون ألف مدي [٥٠] وكثر بذلك بناء القصور والجوامع بكور الأندلس المختلفة وليس في مدينة قرطبة فحسب [٥١] .
كان للتقدم الاجتماعي الذي رافق التقدم الاقتصادي والسياسي أثره المهم في زيادة عدد السكان في قرطبة الأمر الذي جعل مسجد قرطبة الجامع يضيق بالمصلين في صلاة الجمعة فزاد الأمير الحكم في المسجد رواقين وتوفي قبل إتمامه[٥٢] .
وكان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة إلى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسة أذرع ، ثم زاد الأمير الحكم في طوله مائة ذراع وخمسة أذرع ، فكمل الطول ثلاثمائة ذراع وعشرة أذرع [٥٣].لم تسعفنا المصادر بتفاصيل أكثر حول زيادة الأمير الحكم بن هشام في مسجد قرطبة الجامع التي كانت مهمة ، إذ بلغت زيادته في المسجد الجامع (٤٠%) على ما كان عليه المسجد في عهد مؤسس الإمارة .
٤.الزيادة ببناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم : تولى الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) بن الحكم بن هشام الإمارة (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م)[٥٤] بعد وفاة والده الأمير الحكم بن هشام .كان الأمير شغوفاً بالأدب والحكمة ، ودرس الحديث والفقه ، وكان ذهنه مستنيراً[٥٥] . حدث في عهده عدد من الثورات والفتن ، استطاع القضاء عليها ، كما حدث سنة ٢٠٧هـ فتنة شبيهة بما حدث أيام الأمير الحكم الربضي ، لكن الأمير عبد الرحمن استطاع السيطرة عليها [٥٦] ، وتميز عهده أيضاً بكثرة الغزو والجهاد إلى الممالك الاسبانية ،وأرغم بغزواته النصارى على دفع الجزية وإطلاق من كان أسيراً من المسلمين [٥٧] .
عرفت الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط خطراً لم تعرفه من قبل ، وهو ظهور النورمان على السواحل الأندلسية وتهديدهم للأندلس ، وقد تصدى لهم الأمير بجيش الإمارة وانتصر عليهم وأُحرقت مراكبهم وغنم الجيش البعض الآخر منها [٥٨] .

وكانت جباية الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط (مليون دينار) في السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف ، وحفلت قرطبة بالأمن والرخاء وازدهرت الصناعة والتجارة [٥٩]، وكثر بناء القصور والمنتزهات والجوامع بكور الأندلس [٦٠] .

أصبحت قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط حاضرة تليق بالإمارة الأموية ، إذ تكاثر الناس فيها ، وتوافدوا إليها من كل مكان ، وهذا أدى إلى ضيق المسجد الجامع بقرطبة بالمصلين ، وكان الأمير عبد الرحمن ملتزماً برأي الإمام مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، في ألا تفرق بمصر واحد صلاة الجمعة ، فكان الناس يلقون بسبب ذلك الضيق بسبب الأعداد المتزايدة من المصلين [٦١] ، كان أهل الأندلس ملتزمين التزاماً كبيراً بمذهب الإمام مالك فالأندلس مالكية المذهب ومنذ عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن طوال تاريخها [٦٢] .

تم تنفيذ العديد من الأعمال العمرانية بمسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، لجعله مستجيباً لتزايد أعداد المصلين ، وقد مرت تلك الأعمال بمرحلتين [٦٣] هما :

- المرحلة الأولى :كانت سنة ٢١٨هـ / ٨٢٢م ، ذكر أحمد الرازي (ت ٣٤٤هـ) أن الأمير عبد الرحمن الأوسط ، زاد في مسجد قرطبة الجامع ، الزيادة الأولى الظاهرة من قبلته للداخل إليه البارزة من بين البنية الأولى ، التي ابتناها أبو جده الداخل إلى الأندلس ، على أساس مختطي هذا المسجد المبارك من العرب الفاتحين ، فأمر الأمير بمد زيادته تلك طولاً مع القبلة في الفضاء البراح هنالك مع آخر هذا المسجد بباب المدينة الأكبر القبلي المعروف اليوم بباب القنطرة ، وقد كانت أبهاء المسجد الأقدم تسعة ، أمر الأمير عبد الرحمن بزيادة بهوين من كل جانبيه فكملها أحد عشر بهواً [٦٤] .

- المرحلة الثانية: كانت سنة ٢٣٤هـ ، عندما أمر الأمير عبد الرحمن الأوسط بما رسمه من بناء هذا المسجد الفاضل فزيدت طولاً ما بين الأرجل الضخام الصخرية الماثلة في صدره الظاهرة لمن دخل إليه فيما بينها إلى آخر المسجد بمنتهى المحراب [٦٥] . أمر الأمير عبد الرحمن الأوسط في زيادته هذه بجمع أفضل الآلات لبنائه ، واستكثر من عدد الفعلة ، وقام بتوكيل ذلك إلى أكبر فتيانه ولا سيما نصراً وصاحبه مسروراً ، رغبة من الأمير في إحكام الصنعة وتيسير الوقت لإتمامه ، فتمت الزيادة كما أراد وكما رسم لها ، فكانت هذه الزيادة من آثاره الجميلة [٦٦] .

بلغ طول الزيادة التي أمر بها الأمير عبد الرحمن الأوسط خمسين ذراعاً وعرضها مائة وخمسين وعدد سواريها ثمانين سارية [٦٧] ، أما عدد أبواب المسجد ، فقد كملت سبعة أبواب ، عرض كل باب منها خمسة أذرع ونصف ، وارتفاعه طولاً سبعة أذرع [٦٨] .

كما وجه الأمير عبد الرحمن الأوسط ببناء سقيفة جوفية في مؤخر الصحن ، نظمها بالسقيفتين اللتين أمر بابتنائهما في صحنه الشرقي والغربي ، وصلهما بها وسأتوسع فيها مكاناً خاصاً ، ليكون مصلى للنساء ، إذا حضرن إلى المسجد ، وتوفي الأمير عبد الرحمن قبل أن يتم زخرفتها فأتمها ولده الأمير محمد [٦٩] .

أما جدران المسجد الخارجية فدعمت بركائز ضخمة ، أكسبت المسجد مظهر القلاع ، ويعلو الجدران من أعلى ، شرفات مثلثة مسننة ومتدرجة ، قد تكون مقتبسة من تصميم شرفات المسجد في القيروان [٧٠] .

وفي زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط بمسجد قرطبة الجامع ، يقول الشاعر ابن المثنى [٧١] :

بنيت لله خير بيت ... يخرس عن وصفه الأنام
حج إليه بكل أواب ... كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه إذا ما ... حن به الركن والمقام [٧٢] .

٥. الأعمال التكميلية لمسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير محمد: بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط ، خلفه في الحكم ابنه الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) [٧٣]، كانت ظروف ولايته ممهدة من قبل ، فقد كان ينوب والده أحياناً بقصر الإمارة ، لما عرف عنه من ضبط لأمور الدولة وحسن إدارة وذكاء وفطنة [٧٤] .

تسلم الأمير محمد الإمارة، وهي مستقرة ، وملوك الإفرنج يحسبون حسابها ويسعون إلى عقد السلم معها [٧٥] ، لكن القدر شاء أن يكون عهد الأمير محمد بداية عهد من أخطر عهود التاريخ الأندلسي ، وأشدها خطراً على بني أمية ، وعلى دولة الإسلام عموماً في الأندلس ، فقد قامت ثورة جارفة في طليطلة سنة (٢٣٨هـ) ، تصدى لها الأمير بنفسه مع جيشه ، وكانت هذه أول حملة يقودها ، وهي أول سنة إمارته ، واستطاع الانتصار على الثوار ومزق قوتهم [٧٦] .

لكن تلك الثورة لم تنتهي تماماً ، إذ سرعان ما عادت طليطلة إلى التمرد والعصيان ، وفي كل مرة كان الأمير محمد يسير إليها بنفسه مع الجيش للتصدي لها ، وهكذا لبث عصر الأمير محمد عصراً لإخماد الثورات ، وليس هذا فقط فما أن خمدت ثورات طليطلة حتى داهم شواطئ الأندلس خطراً آخر وهو هجوم النورمان فتصدى له الأمير محمد بجيشه [٧٧] .

كان الأمير محمد يعشق الجهاد والكفاح ، ولذلك فإنه أنفق جزءاً كبيراً من وقته في الحكم بصد الغزوات المتعاقبة والفتنة التي شاعت في الأندلس والتي استنفذت الكثير من النفقات الضخمة ، لكنه على الرغم من كل ذلك ، فقد رفع عن أهل قرطبة ضريبة الحشود ، واكتفى بدعوتهم إلى التطوع والجهاد في سبيل الله فأقبلوا على تأييده [٧٨] .

وعلى الرغم من أن وقت الأمير محمد ، لم يتسع كثيراً للأعمال العمرانية ، لما زخر به من الفتن والاضطرابات ، إلا أنه كان مجبولاً على حب البنيان مشغوفاً بتشييد المباني ، مستنبطاً لآلاتها مختاراً لصناعها مبالغاً في إتقانها ساخياً بالإنفاق عليها [٧٩] .

كان في مقدمة منشآته ، أعماله التكميلية بالمسجد الجامع بقرطبة ، فأمر في سنة ٢٤١هـ بإتمام زخرفة واجهات الأبواب ، التي كان قد أقامها والده عبد الرحمن الأوسط [٨٠] .

وفي سنة (٢٥٠هـ) ، أمر الأمير محمد بإقامة مقصورة خشبية بالمسجد وجعل لها ثلاثة أبواب [٨١]، فلما كمل ما أمر به دخله وصلى فيه ركعات خشع فيها ، فقال في ذلك موسى بن سعيد [٨٢] :

لعمري لقد أبدى الإمام التواضعا ... فأصبح للدنيا وللدين جامعا

بنى مسجداً لم يبن في الأرض مثل
وصلى به شكراً لذي العرش راكعا
فطوبى لمن كان الأمـــير محمد
له إذ دعـا فيه إلى الله شـافعا [٨٣]

كان الأمير محمد أول من اتخذ المقصورة [٨٤] .انت تمتد على مساحة من أرض المسجد ، وهذه المساحة كانت فيما يلي المحراب ، إذ تضم ثلاثة أساطين من بلاط المحراب ، وثلاثة من البلاطين المجاورين له [٨٥] .

٦.ترميم مسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير المنذر: تولى الأمير المنذر بن محمد الإمارة (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م) [٨٦]، بعد وفاة والده الأمير محمد بن عبد الرحمن ٠وتميز عهده القصير بعودة الفتن والثورات ، فتصدى لها بجيشه وأحسن القيام بذلك ، إلا أنه توفي وهو في حصاره لمدينة ببشتر ، عندما كان يتصدى للثائر عمر بن حفصون [٨٧]، كبير الثوار بالأندلس ، وكان الأمير المنذر وافر العزم ذا شجاعة وبأس ، وكان زعماء الفتنة يهابونه ، ولولا وفاته لأستطاع القضاء عليهم ، ولأمن الأندلس من شرهم [٨٨] ٠
وعلى الرغم من قصر مدة حكم الأمير المنذر ، إلا أنه ترك بصمة في تاريخ عمارة المسجد الجامع بقرطبة ، عندما أمر بترميم ما تصدع من زخرفة المسجد الجامع [٨٩] ، ثم أمره بزيادة البيت المعروف ببيت المال في الجامع لوضع الأموال الموقوفة للمسلمين [٩٠]، وكان بناؤه على غرار بيوت المال في مساجد عمرو بن العاص بالفسطاط والجامع الأموي بدمشق وغيرها [٩١]، وهذا يدل على مدى تأثر عمارة المساجد الجامعة بعضها ببعضها الآخر ٠ وأخيراً نذكر له أمره بتجديد السقاية وإصلاح السقائف في المسجد الجامع [٩٢].

٧.الزيادة ببناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الأمير عبد الله: تولى الأمير عبد الله بن محمد الحكم (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م)[٩٣] ، بعد وفاة أخيه الأمير المنذر ٠ ووصف الأمير عبد الله بأنه أصلح أمراء بني أمية بالأندلس ، وأمثلهم طريقة وأتمهم معرفة وأمتنهم ديانة ، كان يتهجد بالليل ويقوم ليالي شهر رمضان بالاشفاع مع الأئمة المرتبين لها بالمسجد الجامع بقرطبة وكانت نيته في ذلك خالصة لوجه الله تعالى [٩٤].

إلا أن عهده الطويل وافق وقوع العديد من الفتن والاضطرابات ، فكان عليه مواجهة كل ذلك ، وكانت ثورات الجنوب هي الأخطر ، إذ غدا الثائر عمر بن حفصون يمثل قوة يخشى بأسها ٠ وأدرك الأمير عبد الله أن واجب المسؤولية يحتم عليه تكريس كل الجهود لمواجهة تلك الثورات [٩٥].
ومن أحداث عهده البارزة ، افتتاح الجزائر الشرقية سنة (٢٩٠هـ / ٩٠٢م) وإدخالها في حظيرة المملكة الإسلامية [٩٦].

لم يتسع عهد الأمير عبد الله المليء بالثورات والفتن للأعمال الإنشائية ، لكن على الرغم من ذلك فقد كانت له أعمال بالمسجد الجامع بقرطبة ، إذ أمر بزيادة ساباط [٩٧] معقود على حنايا المسجد الجامع وصل فيه ما بين القصر والجامع من جهة الغرب ، ثم أمر بإقامة ستارة من آخر هذا الساباط إلى أن تم وصلها بالمحراب ، وأمر بفتح باب إلى المقصورة كان يخرج منه إلى الصلاة وكان أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية [٩٨] ، كان ذلك رغبة من الأمير في شهود الجمعة ومحافظة منه على الصلوات وحباً للأعمال الصالحة [٩٩].
ذكر ابن حيان القرطبي السبب الذي دعا الأمير عبد الله إلى إقامة الأزج المعروف بالساباط من قصره إلى المسجد الجامع ، هو أن الأمير عبد الله كان يلتزم الصلوات الخمس في المسجد ، فيخرج للصلاة من قصره عند سماعه الآذان ، فإذا الناس رأوه قاموا له صفاً على أقدامهم ، حتى يصير بداخل المقصورة ، فكتب إليه أحد الفقهاء بقوله : أيها الأمام أرضى الله قدرك من المتقين وإنما يقوم الناس لرب العالمين ، وهم يميلون لك قياماً إذا رأوك فلا ترض لرعيتك بغير الصواب فإن العزة لله جميعاً لا شريك له ومن تواضع لله رفعه الله والذكرى تنفع المؤمنين وإنما يتذكر من ينيب ، فأوصى الأمير إلى العامة الحاضرين بالمسجد الجامع ألا يقوموا إليه ويلزموا مجالسهم فلم ينته أكثرهم عن هذا العمل ومضوا على عادتهم فابتنى هذا الأزج الماثل عقده فوق الطريق ما بين قصره والمسجد ووصله بباب من قصره إلى مقصورة المسجد بحيث يخرج مستتراً لا يراه أحد من العامة متى أراد الصلاة ، فيدخل بداخل المقصورة ويؤدي الفريضة والنافلة وينصرف من دون أن يراه أحد وبهذا لا يتكلف بذلك ذنباً [١٠٠] ٠ وبلا شك فإن توفير مثل هذا الطريق لوصول الأمير إلى المسجد الجامع يساعد في دفع ما قد يخطط له أي عدو للوصول إليه ٠
كان من مظاهر صلاح الأمير عبد الله انه خصص يوم الجمعة لقعوده للعامة ، بمجلس له عند باب القصر ، أقامه عند ركن ، القصر وسماه (باب العدل) ، وهو باب قبلي رسمه وخصه بعمل معين ، وهو انه لا يأتيه من متظلم أو رافع ظلامة إلا منعها الأمير عنه وكان قد أوصى حاجبه بأن لا يمنع أحداً عنه نظراً للناس وتسهيلاً لسبيل إنصافهم[١٠١].
تلك كانت أبرز الأعمال التي أمر بها أمراء الدولة الأموية بالأندلس لمدة نحو (١٧٨ سنة) من عمر الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، ومن عمر مدينة قرطبة حاضرة الأندلس ٠ وقد رافقت تلك الأعمال التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الأندلس ، غير ان العناية بمسجد قرطبة الجامع وإحداث الزيادات في بنائه لم تتوقف بل استمرت في عهد الخلافة ، الذي جاء متمماً لعهد الإمارة ، مع خصائص أفضل وأحوال أظهر ، زادت من مكانة قرطبة ومن تقدمها الحضاري ، فانعكس ذلك على صرحها المعماري الذي فاخرت به ، والذي زاد في كل شئ ، في بنائه وزخرفته وفرشه وإضاءته وخدمته ودوره الحضاري المتنوع الذي فاض على المجتمع القرطبي والأندلسي بالخير والنماء ٠

- ٤ -
موارد الإنفاق وأوجه الصرف على مسجد قرطبة الجامع في عهد الإمارة الأموية

ذكرنا أن عهد الإمارة تميز بصورة عامة ، بالاستقرار والرخاء الاقتصادي ، بعد أن وطد الأمير عبد الرحمن الأول

(الداخل) أركان الدولة ، واستكمل الأمراء الأمويون من بعده ما كان قد بدأ به ، وكان ضمن اهتمامات الأمراء الإنفاق على مسجد قرطبة الجامع ٠

في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ، على الرغم من انشغاله بتوطيد الأمن في البلاد ، إلا انه اولى الجانب العمراني جزءاً مهماً من وقته ، وخصص له جزءاً مهماً من الأموال ٠ وبعد استقراره في قرطبة ، واتخاذه داراً للإمارة التفت إلى مسألة بناء المسجد الجامع ، وانفق فيه ثمانين ألف دينار بالوازنة [١٠٢] وفي ذلك يقول دحية بن محمد البلوي [١٠٣]من قصيدة له :

وأنفق في ديـن الإلـه ووجـهه
ثمـانين ألفاً من لجين وعسجد
توزعها في مسـجد أسه التقى
ومنـهجه دين النبـي مـحمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه
يلوح كبرق العارض المتوقد [١٠٤]

في حين أورد صاحب البيان المغرب أن الأمير عبد الرحمن الداخل أنفق في المسجد مئة ألف بالوازنة [١٠٥] ، وبحسب النصوص المتوفرة بهذا الخصوص يبدو لنا بأن مبلغ المئة ألف كان مخصصاً لشراء نصف الكنيسة من النصارى في قرطبة أما مبلغ الثمانين ألف فقد خصصت للبناء [١٠٦]، وهذا يدل على عظمة البناء ٠

وأولى الأمير هشام بن عبد الرحمن الإنفاق على مسجد قرطبة الجامع جل اهتمامه ٠ وفي أيامه فتحت مدينة أربونة الشهيرة [١٠٧] واشترط على المعاهدين من أهل جليقية [١٠٨]من صعاب شروطه نقل عدد من أحمال التراب من سور أربونة يحملونها إلى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد [١٠٩]، وقرر الأمير أن يكون الخمس الحاصل من أربونة لبناء المسجد الجامع بقرطبة [١١٠] ٠

أخرج الأمير هشام المصرف لآخذي الصدقة على الكتاب والسنة [١١١]، ومما ذكر عن الأمير هشام أنه كان يصر الصرر بالأموال في ليالي المطر والظلمة ويبعث بها إلى المساجد فيعطي من وجد فيها ، يريد بذلك عمارة المساجد [١١٢] ٠

إن الإنفاق على المسجد أيام الأمير هشام كان قليلاً مقارنة بما أنفقه عليه والده الأمير عبد الرحمن الداخل في بناء الجامع ، إذ كانت الأعمال التي أمر بها الأمير هشام في الجامع أعمالاً تكميلية لم تكلف الإمارة النفقات الكثيرة ٠

لم ترد إشارة واضحة في المصادر عن مقدار الإنفاق على المسجد الجامع في عهد الأمير الحكم إلا أن ذكر المصادر للزيادة في عهده إشارة إلى أنه كان هناك إنفاق ولو لم يذكر مقداره بالضبط ٠

أما في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط فبالرغم من الزيادة الواضحة في عهده على مسجد قرطبة الجامع إلا أن المصادر لم تذكر مقدار الإنفاق ، إلا أن هناك إشارة واضحة تدل على أن مقدار الإنفاق في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط على المسجد الجامع كان كبيراً ، ما أنشده الشعراء بالزيادة التي أمر بها الأمير [١١٣] ٠

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وعهد ولديه من بعده الأمير المنذر والأمير عبد الله بن محمد لم تذكر المصادر أرقاماً محددة عن مقدار ما تم إنفاقه من أموال على مسجد قرطبة الجامع ، وذلك لأن أعمالهم كانت عبارة عن تجديد في الجامع ، كما في عهد الأمير محمد الذي وثقه النقش الموجود فوق الحافة العليا من عقد باب المسجد ، الذي يؤرخ التجديد الذي قام به سنة (٢٤١هـ) [١١٤]، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأمير المنذر والأمير عبد الله إذ تعذر الوقوف على ما يعين على ما يشير إلى مقدار ما أنفق على المسجد الجامع في عهديهما من أموال ٠

ـ٥ـ
تطور بناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الخلافة

١ .الأعمال العمرانية بمسجد قرطبة الجامع في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث: تولى الأمير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد إمارة الأندلس سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) [١١٥]، بعد وفاة جده الأمير عبد الله ، واستمر يحكم الأندلس حتى سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١ م) ٠

كانت الأندلس حين توليه تعاني من اضطرابات داخلية كثيرة ، أتت على أمن البلاد ووحدتها ، كما كانت تعاني من تحرشات دويلات اسبانيا النصرانية ، أنفق الأمير عبد الرحمن الثالث سنوات حكمه الأولى بالقضاء على الفتن الداخلية وتوطيد الأمن في البلاد ، وتمكن بعد مضي ست عشرة سنة من الجهاد والعمل المثابر ، من إنزال كل المتغلبين وصارت جميع بلاد الأندلس في طاعته [١١٦]٠ كان الأمير رجل دولة متميز ، تمكن من حل مشاكل البلاد الأندلسية ، ووفر لها الأمن وأعاد لها الوحدة وحقق لها الاستقرار ٠

كان الأمير عبد الرحمن هو الأصلح وقتها لتولي منصب الإمارة ، فهو حفيد الأمير عبد الله ، الذي أولاه فائق رعايته ، ووفر له مستلزمات التأديب والإعداد اللازمين ، تعويضاً له عن فقدان أبيه ، الذي ذهب ضحية دسائس القصر ، وقد ظهرت على الأمير منذ شبابه المبكر علامات الذكاء والنجابة [١١٧] ٠ فازداد إعجاب الجد به ، لذلك وقع اختياره عليه من بين أولاده وأحفاده الآخرين لتولي مسؤولية الإمارة ، التي كانت الظروف في الأندلس وقتها لا تشجع أحداً على التنافس على توليها ٠

إن أهم ما يميز هذا العهد ، هو إعلان الأمير عبد الرحمن الثالث الخلافة الأموية سنة (٣١٦هـ/٩٢٩م) ٠ ولم يكن أحد قبله من الأمراء أعلن ذلك بل كانوا يطلقون على أنفسهم لقب (أبناء الخلائف) [١١٨]، كما انه لقب نفسه بالناصر لدين الله ، وبذا تحولت الدولة الأموية في الأندلس من إمارة إلى خلافة [١١٩] ٠

إن إعلان الخلافة الأموية في الأندلس كان حدثاً كبيراً ، له أسبابه ومنها ما وصلت إليه الدولة الأموية في الأندلس ، في عهد الخليفة الناصر ، من قوة بعد قضائه على كل مظاهر النزاع الداخلي ، فلم يبق عليه في الأندلس مخالف ولا نازعه منازع ودخل الناس في طاعته ورغبوا في مسالمته ، ومن الأسباب الأخرى ، أن الخلافة العباسية في المشرق ، كان قد اعتراها الضعف ، في ذلك الوقت ، لعدة أسباب ومنها تحكم العناصر الأجنبية في مقدراتها ، وثالث هذه الأسباب هو ظهور خلافة ثانية بجانب الخلافة العباسية ، وهي الخلافة

الفاطمية ، التي حكمت أجزاء في شمال أفريقيا ومصر وامتدت إلى مناطق في بلاد الشام ، فشكل هذا الحدث سابقة شجعت الأمير عبد الرحمن على أن يسمي نفسه أمير المؤمنين ، بعد أن أصبح للمسلمين أكثر من أمير مؤمنين ، ولا سيما وأن أجداده كانوا خلفاء إبان حكم الدولة الأموية [١٢٠] .

تميز عصر الخليفة الناصر بالرخاء الاقتصادي ، وكان الخليفة الناصر يقسم الجباية على ثلاثة أثلاث : ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر ، وكانت جباية الأندلس وقتذاك (٥٤٨٠٠٠٠ ديناراً) من الكور والقرى ، ومن المستخلص والأسواق (٧٦٥٠٠٠ ديناراً) ، أما أخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان [١٢١] ، وهذا يدل على كثرة موارد الدولة في ذلك الوقت والذي وظفت ثلثه للعمران .

وجراء تقدم الحياة الاقتصادية ووفرة الأموال ، كثر تشييد المباني والقصور والمساجد وبناء المدن الجديدة ومن أبرزها مدينة الزهراء ، التي أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة (٣٢٥هـ) ، في غربي قرطبة ، على سفح جبل العروس[١٢٢]وأمر باستدعاء المهرة من المهندسين والعمال للعمل ببنائها ، فكملت بأحسن صورة وأبهاها [١٢٣] ، واقترنت عظمة هذه المدينة بعظمة شخص الخليفة الناصر [١٢٤].

إن تحقق الاستقرار والأمن في هذا العهد في البلاد ، وتحقق الرخاء الاقتصادي ، زاد من قوة الدولة ، لذلك توافدت السفارات الدبلوماسية من دول العالم إلى قرطبة ، طالبة المودة ، كسفارة إمبراطور القسطنطينية ، التي احتفل بها الخليفة الناصر خير احتفال [١٢٥] .

وفي هذا العهد ارتقت الثقافة والعلوم بأنواعها ، وظهر اهتمام الخليفة الناصر بالعلماء ، ولا سيما في قرطبة ، التي فيها جلة من أعلام العلماء [١٢٦] ، المتمكنين في العلوم الشرعية وفي علوم اللغة العربية وفي والطب والحساب [١٢٧] . فكانت قرطبة مركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم كما وصفها الشقندي [١٢٨].

كانت عناية الخليفة الناصر ، في ميدان العمارة كبيراً ، ربما فاقت عناية من سبقه من أمراء الأسرة الأموية ، وكان المسجد الجامع في قرطبة من أبرز الصروح المعمارية التي حظيت باهتمام الخليفة .

ومن أبرز أعمال الخليفة عبد الرحمن الناصر العمرانية التطويرية في مسجد قرطبة الجامع ما يأتي :

بناء الصومعة العظيمة :أول ما أمر به الخليفة الناصر في شأن عمارة المسجد الجامع بقرطبة ، هو هدم الصومعة القديمة ، وكان لهذا أسبابه فالصومعة القديمة التي أمر ببنائها الأمير هشام بن عبد الرحمن أصابها التصدع من كل الجهات ، وأصبحت تشكل خطراً كبيراً على المؤذنين والمصلين ، فرأى الخليفة الناصر انه من الأفضل هدمها وبناء مئذنة جديدة مكانها ، كما أن المئذنة القديمة أصبحت صغيرة الحجم بالنسبة لعظم عمارة مسجد قرطبة الجامع ، الذي أصبح فسيح المساحة ، ثم أن هناك سبباً قد يكون هو السبب الرئيس في إقامة المأذنة الجديدة ، وهو ان الخليفة الناصر لقب كما سبق أن ذكرنا ، منذ العام (٣١٦هـ) بلقب أمير المؤمنين ، وشرع في تنفيذ برنامج حافل لتجميل حاضرة الأندلس بأفخم الأبنية والقصور التي تليق بالخلافة ، فأصبحت قرطبة في عهده من أعظم مدن العالم ، لذلك رأى الخليفة الناصر أن يقيم مئذنة جديدة تسمو على سائر العمران في قرطبة ، يراها القادمون إليها من بعيد ، كأنها المنار الذي يهدي السفن الضالة في مياه البحر [١٢٩] .

فأمر الخليفة الناصر سنة (٣٤٠هـ) ببناء مأذنة جديدة عظيمة [١٣٠].تم الحفر في أساسها ، حتى بلغ الماء ، مدة من ثلاثة وأربعين يوماً ، كان بناؤها بحذاء الجدار الشمالي للمسجد ، بحيث لا تبرز نحو الخارج ، و فصل بين المطلعين للصومعة بالبناء فلا يلتقي الصاعدان إلا بأعلاها [١٣١] . بلغ طول الصومعة من الأسفل إلى مكان الآذان ثلاثة وسبعين ذراعاً ، وهي مشهورة في الأندلس ، وليس في مساجد المسلمين صومعة تعادلها [١٣٢] .

بعد استكمال بناء الصومعة (المئذنة) ، أمر الخليفة الناصر ، بنصب سفود بارز في أعلاها ، وتم تركيب ثلاث تفاحات ، كانت اثنتين من الذهب وواحدة من الفضة [١٣٣]، وهذا يدل على مدى عظمة البنيان في هذا العهد وكثرة الأموال التي تم إنفاقها عليه .

كانت جدران المئذنة مبطنة جميعها ، بنوع من الحجر الجيري ، يعرف باسم الكذان اللكي ، ومنقوشة من أسفلها إلى أعلاها بنقوش متنوعة وزخارف ملونة [١٣٤]، بلغ طول كل حائط من حيطانها على الأرض ثمانية عشر ذراعاً [١٣٥]. لما كمل بناء الصومعة ، توجه الخليفة الناصر إليها من مدينة الزهراء لافتتاحها ، فصعد في الصومعة من أحد درجيها ونزل من الثاني ، ثم خرج وصلى ركعتين فيها ثم انصرف [١٣٦] .

الزيادات في مسجد قرطبة الجامع وأعمال الصيانة :لم تقتصر أعمال الخليفة الناصر عند حد بناء الصومعة ، بل أمر بزيادة مشهورة في المسجد الجامع ، هي بناء القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم الجمعة ليقيموا الأذان ، وهو يعد من أعجب البنيان [١٣٧] ، و أمر الخليفة الناصر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة ، ليقي الناس حر الشمس في الصيف [١٣٨] . و بترميم واجهة بيت الصلاة ، التي تصدعت ، بسبب قوة الدفع المستمر للعقود الداخلية ، و إصلاح أحد أبواب المسجد الجامع [١٣٩] .

في المسجد الجامع بقرطبة ، عدة نقوش بديعة الصنعة ، وكتابات توثق تواريخ الزيادات التي أمر بها الخليفة الناصر ، ومنها توثيق بنائه لواجهة المسجد الجامع ، التي ثبت فيها لوحة رخامية ، في الجانب الأيمن من باب النخيل ، وكتب عليها بخط كوفي ، ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أطال الله بقاه بنيان هذا الوجه وإحكام إتقانه تعظيماً لشعائر الله ومحافظة على حرمة بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلث مائة على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر عمل سعيد بن أيوب) [١٤٠].

٢- الأعمال العمرانية بمسجد قرطبة الجامع في عهد الخليفة الحكم الثاني: تولى أبو العاص الحكم الثاني المستنصر بالله الخلافة سنة (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) بعد وفاة والد عبد الرحمن الناصر ودامت خلافته إلى سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦ م) [١٤١].

كانت البلاد حين تولى الخلافة تنعم بالأمن والوحدة والرخاء ، الذي تحقق في عهد والد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله الطويل ٠ استمرت حالة الاستقرار والرخاء في الأندلس ، وتقدمت الحياة في كل ميادينها تقدماً لم تبلغه في مرحلة سابقة أو لاحقة ، وتألقت قرطبة في أيامه كما كانت في أيام والده وكانت الحياة فيها مستقرة وآمنة ومتقدمة في شتى نواحي الحياة ، وكان لها مكانة مرموقة بين الدول [١٤٢]، وأصبحت قرطبة المدينة الأولى في عالم ذلك اليوم ، أو لنقل على أقل تقدير ، انها أصبحت ثاني مدينة في العالم بعد مدينة بغداد حاضرة الخلافة العربية الإسلامية العباسية [١٤٣] ٠

كان الخليفة الحكم يتميز بصفات العلم والحكمة وحسن السيرة ، جامعاً للعلوم محباً لها ، مكرماً لأهلها ، وظهر ذلك جلياً من اهتمامه بالجوانب الثقافية والعلمية [١٤٤] ٠
وكان من جوانب اهتمامه بالناحية العلمية ، أنه جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الأمراء والخلفاء قبله ، وذلك بإرساله عدد من العلماء إلى الأقطار المختلفة ، لكي يجمعوا له أفضل الكتب وبأغلى الأثمان[١٤٥]، كما حصل مع العالم أبي الفرج الأصفهاني ، عندما ألف كتابه الأغاني ، فبعث إليه الخليفة الحكم ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتمس نسخة من الكتاب ، وهو بعد لم يظهر لأهل العراق [١٤٦] ، كما كان يخصص من العطاء للعلماء الشئ الكثير وأجرى لهم المرتبات [١٤٧]٠
ومن الأمور التي تدل على وفرة العلماء بمدينة قرطبة في هذا العهد أن الخليفة الحكم المستنصر ، أمر ونادى في أزقة قرطبة ، ألا يتعمم رجل لا يحمل المدونة وهي مدونة سحنون في الفقه حفظاً وفقهاً ، فتعمم فيها ثلاثة مائة رجل ونيف ٠ فما ظنك بغيرها من العلوم والفنون[١٤٨]٠

كان الخليفة الحكم يقرأ كتب مكتبة القصر جيداً ، وكان يسجل التعليقات على الكتب التي يقرؤها ، وكانت هذه التعليقات موضع تقدير من العلماء الذين عاصروه ، فاعترفوا له بالعلم وسعة الاطلاع والدقة في تعليقاته [١٤٩]٠
أمر الخليفة الحكم أن يتم بناء دار للصدقة غربي الجامع ، واتخاذها مكاناً لتفريق صدقاته المتوالية ، وأمر ببناء بيوت تقابل المسجد الكبير تكون لسكنى الفقراء [١٥٠]٠ وهذا من دلالات اهتمام الخليفة الحكم بأمور رعيته ، و مؤشر على درجة الاستقرار والرخاء الاقتصادي الذي بلغته بلاد الأندلس في عهده ٠
ومن الأخبار التي تدل على مدى اهتمام الخليفة الحكم بأمور رعيته ، ما أورده ابن عذارى ، أن الخليفة الحكم أمر بحبس ريع جميع ما جرته إليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين ، في جميع كور الأندلس وأقاليمها ، على ثغور الأندلس كافة ، تفرق عليهم غلات هذه الضياع عاماً بعد عام على ضعفائهم ، إلا أن تكون هناك مجاعة بقرطبة ، فتفرق فيهم ، وأشهد الحاضرين على ذلك ، وأمر بعتق كل مملوك له من الذكران ، وخرج غازياً إلى بلاد المشركين [١٥١]٠
تألقت حياة أبناء مدينة قرطبة اليومية ، ونافست مدينتهم سواها ، من مدن العالم المعاصر لها ، وقصدها كل صاحب علم وفن ، واتجهت إليها رسل الملوك والأمراء ، تنشد عند خلفاء بني أمية في قرطبة الرضا والقبول[١٥٢]٠

إن اهتمام الخليفة الحكم بكل هذه الأمور ، مع تفوقه في ميدان العلوم ، ورعايته لها ، بأشكال مختلفة وبتميز ، صاحبه عناية كبيرة بالحركة العمرانية ، وكان مسجد قرطبة الجامع من أولى اهتمامات الخليفة الحكم ، فكان من الطبيعي أن يضيف على المسجد من ثراء العصر ورخائه وأبهته ، ما يليق به وما يزيد قرطبة عظمة وشهرة ، ويلبي حاجات المجتمع القرطبي ، الذي ازدادت أعداد سكانه نتيجة للرفاه والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وتوفر وسائل الصحة والعلاج من أطباء وصيادلة ومستشفيات ، فقد كان المرضى يحصلون على العلاج المجاني وكان للأطباء ديوان في عهده [١٥٣] ٠

شهد عهد الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله أعمالاً عمرانية متعددة في مسجد قرطبة الجامع تتناسب مع خصائص عهده وما وصلت إليه الحياة في قرطبة من تقدم ورخاء وهذه الأعمال هي :
توسيع المسجد الجامع : إن ازدياد عدد الناس في قرطبة جعلهم يتزاحمون بالمسجد الجامع حتى كادت النفوس تتلف [١٥٤]، عندها نظر الخليفة الحكم الثاني بأمر الزيادة فيه ، في مفتتح خلافته ، وهو أول عهد أنفذه الخليفة ، وقلده حاجبه وسيف دولته ، جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي ، وذلك لأربع خلون من رمضان سنة خلافته (٣٥٠هـ) ، وهو اليوم الثاني لتوليه الخلافة ، فأول ما نظر في سوق الصخور ، التي هي أسس البنيان ، فابتدئ بانتقالها في رمضان من السنة نفسها ، وخرج الخليفة الحكم بنفسه لتقدير الزيادة وتفصيل البناء ، وأحضر لها الأشياخ والمهندسين والبناءين ، فحددوا هذه الزيادة من قبلة المسجد إلى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً ، وعرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع ، وقطع من هذا ساباط القصر المتخذ لخروج الخليفة إلى الصلاة إلى جانب المنبر بداخل المقصورة فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد في المسجد [١٥٥] ، وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار في حد يقصر الوصف عنه [١٥٦] ٠
إعادة بناء المحراب : أمر الخليفة الحكم بإعادة بناء محراب المسجد الجامع ففي سنة (٣٥٤هـ) كمل بناء القبة المبتناة عليه وذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة (٣٥٤هـ) [١٥٧]فبلغ في الطول من القبلة إلى الجوف ثمانية أذرع ونصف [١٥٨] ٠
يعد المحراب أجمل عنصر معماري في مسجد قرطبة الجامع إذ عني به المهندسون باعتباره أنبل مكان بالمسجد فأقاموا القباب على بلاطه الأوسع ورواقه الأمامي ونقش من الداخل والخارج بتوريقات ونقوش بديعة ، وقد أمر الخليفة الحكم بفتح باب إلى يمين المحراب يؤدي إلى الساباط الجديد الذي يصل بين قصر الخلافة وبين مقصورة الجامع [١٥٩]٠
وكان يتصل بهذا الباب أشبه ، ما يكون بالمخزن ، يحفظ فيه مصحف ، يرفعه رجلان لثقله ، فيه أربع أوراق من مصحف الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه- ، يخرج المصحف في صبيحة كل يوم جمعة يحمله رجلان من قومة المسجد وله بموضع المصلى كرسي يوضع عليه ، ويتولى الإمام قراءة نصف حزب منه ثم يرد إلى موضعه [١٦٠]٠
وأمر الخليفة الحكم في السنة نفسها باقتلاع السواري الأربع التي كانت في عضادة المحراب القديم الفائقة التي لا نظير لها

وصيانتها إلى ان توضع في المحراب الجديد عند إتقان إحكامه وإكماله [١٦١].

التفكير بتعديل قبلة المسجد الجامع : وعن تحريف القبلة ، الذي سبق أن أشرنا إليه ، شاور الخليفة الحكم العلماء في مسألة تحريف القبلة نحو المشرق ، فقال له الفقيه أبو إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، إنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجدادك الأئمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت متأسين بأول من نصبها من التابعين وذكر موسى بن نصير وحنش الصنعاني وأمثالهما (رحمهم الله تعالى) ، وإنما فضل من فضل بالإتباع ، وهلك من هلك بالابتداع ، فأخذ الخليفة الحكم برأيه وقال : نعم ما قلت ، وإنما مذهبنا الإتباع [١٦٢] . فلم يحدث التغيير المنشود بقبلة المسجد .

تزيين المسجد الجامع : أمر الخليفة الحكم في سنة (٣٥٤هـ) بتزيين جدران المسجد بالفسيفساء ، التي كان قد بعث بها ملك القسطنطينية إلى الخليفة الحكم ، وكان الخليفة الحكم قد كتب له في هذا الأمر ، وطلب توجيه صانعها إليه ، اقتداءاً بما فعله الخليفة الوليد بن عبد الملك في بنيان مسجد دمشق فرجع الوفد ومعهم الصانع ، ومن الفسيفساء ثلاث مائة وعشرون قنطاراً [١٦٣] هدية من الملك ، فأمر الخليفة الحكم بإنزال الصانع والتوسيع عليه ، ورتب معه جملة من مماليكه ، لتعلم الصنعة فبرعوا في ذلك ، وزادوا عليه ، فأصبحوا يعملون منفردين من دون الصانع ، فعاد إلى بلاده بعد إكرام الخليفة الحكم له من الصلة والكسوة وقد برع في هذه الصنعة العديد من الصناع فأصبحوا حاذقين فيها [١٦٤] .

المنبر : في محرم من سنة (٣٥٥هـ) أمر الخليفة الحكم بوضع المنبر القديم إلى جانب المحراب [١٦٥] ، وكان المنبر مؤلفاً من أكارم الخشب من أبنوس وصندل ونبع وما أشبه ذلك ، ووصف بأنه ليس في معمور الأرض مثله ، في حسن صنعته وإتقانه ، وقد احكم عمله في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية صناع [١٦٦]، وعدد درجاته تسع ، ويسير على عجل ، وكان يوضع بعد صلاة الجمعة في غرفة تقع خلف المحراب [١٦٧] .

المقصورة : أمر الخليفة الحكم الثاني بنصب مقصورة من الخشب في قبلة الزيادة التي أحدثها ، وكانت تلك المقصورة منقوشة الظاهر والباطن ، مشرفة الذروة ، طولها خمسة وسبعين ذراعاً ، وعرضها اثنتين وعشرين ذراعاً ، وعلوها إلى الشرفات ثمانية أذرع [١٦٨]. ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش [١٦٩]. كان الفراغ من هذه الزيادة في سنة (٣٥٥ هـ) [١٧٠].

الميضأة : أمر الخليفة الحكم في سنة (٣٥٦ هـ) بهدم الميضأة القديمة ، التي كان الأمير هشام بن عبد الرحمن ، قد أمر بتأسيسها بفناء الجامع ، والتي يستسقى لها الماء من بئر السانية ، وأمر ببناء أربع ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها اثنتان كبيرتان للرجال واثنتان صغيرتان للنساء أجري في جميعها الماء[١٧١]. تم جلبه من عين بجبل قرطبة ، خرقت له الأرض ، وتم إجراؤه في قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة ، أودع جوفها أنابيب من الرصاص لتحفظه من كل دنس ، وابتدأ جريان الماء في هذه الأنابيب يوم الجمعة ، لعشر خلون من شهر صفر سنة (٣٥٦ هـ)[١٧٢] . وهذا دليل على مدى التقدم الحضاري في هذا العهد .

كان جريان الماء إلى المياضئ لا ينقطع ليل نهار ، وتم إجراء فضل هذا الماء إلى سقايات ، اتخذت على أبواب المسجد وبجهاته الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية ، اجريت إلى ثلاث جواب من حياض الرخام ، والتي جئ بها من سفح جبل بقرطبة اقتطعه الرخامون بمناقيرهم ، وصنعت عجلات ضخمة لحملها ، من خشب البلوط ، موثقة بالحديد ، محفوفة بوثاق الحبال ، مربوطة بقرون سبعين دابة ، من أشد الدواب ، وسهلت الطرق أمامها ، وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى ، على هذه الشاكلة ، اثني عشر يوماً ، وتم نصبها في أماكن مخصصة لها في المسجد [١٧٣] .

وفي جري الماء إلى مسجد قرطبة الجامع قال الشاعر محمد بن شخيص [١٧٤]من قصيدة له :

وقد خرقت بطون الأرض عن نطف
من أعذب الماء نحو البيت تجريها
طهر الجسوم إذ زالت طهارتها
ري القلوب إذا حرت صواديها
قرنت فخراً بأجر قلما اقترنا
في أمة أنت راعيها وحاميها [١٧٥]

النقوش والكتابات من عهد الخليفة الحكم المستنصر : من أهم نقوش المسجد ، النقش الذي كان بالخط الكوفي ، داخل المحراب في أسفل القبلة ، وهو يؤرخ ما أمر به الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله في إنشاء المحراب وكسوته بالرخام ، وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، أمر الإمام المستنصر بالله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله بعد عون الله فيما شيده من هذا المحراب بكسوته بالرخام رغبة في جزيل الثواب وكريم المآب فتم ذلك على يد مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن نصر وخالد بن هاشم أصحاب شرطته ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب في شهر ذي الحجة من سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة ومن يسلم وجهه لله فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور) [١٧٦].

٣- الأعمال العمرانية بمسجد قرطبة الجامع في عهد الخليفة هشام الثاني: بعد وفاة الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله ، خلفه في الحكم ولده الصبي هشام الثاني المؤيد بالله (٣٦٦-٤٠٣هـ / ٩٦١-١٠١٣م) [١٧٧]، وهو لم يتجاوز بعد إحدى عشرة سنة ، مما أتاح الفرصة لظهور رجل قوي هو محمد بن أبي عامر المعافري [١٧٨]، الذي تلقب بالحاجب المنصور ، وغدا الحاكم الحقيقي للأندلس ، ولم يكن للخليفة هشام من الخلافة إلا اسمها والدعاء له على المنابر [١٧٩]، حتى أن المؤرخين أطلقوا على تلك الفترة التي تولى فيها الحاجب المنصور وولداه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول ، اصطلاحاً (الدولة العامرية) [١٨٠].

تميز شخص الحاجب المنصور بالهيبة والرهبة و كان له حلم مع محبة للعلم وإيثار للأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما ، ومن شعره يفخر بنفسه :

رميت بنفس هول كل عظيمة
وخاطرت ، والحر الكريم مخاطر

وما صاحبي إلا خبان شيع
وأسمر خطى وأبيض باتر
ومن شيمي اني مع كل طالب
أجود بمال لا تقيه المعاذر
واني لزجاء الجيوش إلى الوغى
أسود تلاقيها أسود خوادر [١٨١]

تميزت هذه المدة بالاستقرار والرخاء الاقتصادي ، استمراراً لما كان عليه الحال في عهد الخليفة الناصر والخليفة المستنصر ، إذ بلغت الجباية أيام المنصور أربعة ملايين دينار ، بزيادة مليون على مثيلتها أيام الخليفة الناصر ، من غير رسوم المواريث بقرطبة وكور الأندلس ومال السبي والمغانم ، تؤخذ منها النفقات للاستعداد للغزو ، وما فضل من المال يذهب إلى بيت المال [١٨٢].

ومن الناحية العسكرية اهتم المنصور بتنظيم الجند ، فعمد إلى تفريق الصقالبة الذين تعاظم أمرهم في الدولة الأموية ، واستعاض مكانهم بقوة جديدة من المسلمين البربر [١٨٣]، إن زيادة عدد الجند وخصوصاً المنظم والمتنوع العناصر كان سبباً من أسباب قوة توطيد حكم المنصور، الذي حقق الانتصارات الكبيرة للمسلمين في الأندلس في أثناء معاركه ضد النصارى [١٨٤].

كان عهد المنصور حافلاً بعمليات الجهاد ضد النصارى ، فقد بلغت غزواته اثنتين وخمسين غزوة ، في سائر أيام ملكه ، لم ينكسر له فيها راية ، ولا فل له جيش ، ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية [١٨٥]، وهذا يدل على مدى قوة جيش المنصور العسكرية ، الذي زاد من قوة الأندلس وقوة الوجود العربي الإسلامي فيها [١٨٦] .

ومن فرط حبه للجهاد انه خرج للمصلى يوم العيد ، فحدثت له نية الغزو فخرج من المصلى كما هو إلى الجهاد [١٨٧].

من فرط حب المنصور للجهاد والغزو ، أمر أن ينفض غبار ثيابه ، التي كان يلبسها في المعارك ، وأن يجمع ويحتفظ به إلى حين وفاته ، وان ينثر ما اجتمع منه على كفنه إذا وضع في قبره [١٨٨]، وطلب أن يكتب على شاهد قبره :

آثاره تنبيك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لايأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه [١٨٩]

أما من الناحية العلمية والثقافية ، فكان للمنصور مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة معه [١٩٠].

لم تقتصر أعمال المنصور على عمليات الجهاد بل كان مهتماً بتشييد البنيان وتطويره ، وخير مثال على ذلك أمر سنة (٣٦٨هـ) ببناء مدينة في شرقي مدينة قرطبة ، على نهر الوادي الكبير ، سماها مدينة الزاهرة ، تم بناؤها خلال عامين لتنافس بذلك مدينة الزهراء ، التي أمر ببنائها الخليفة الناصر ، ونقلت إليها دواوين الدولة ، وانتقل إليها المنصور للسكنى هو وحاشيته [١٩١] ، كذلك أمره ببناء قنطرة على نهر قرطبة الأعظم سنة (٣٨٧هـ) ، وتم إكمالها سنة (٣٨٩هـ) ، وأمره ببناء قنطرة استجة [١٩٢].

كان النشاط العمراني في هذا العهد واضحاً ، وتجلى ذلك بأمر الزيادة ببنيان المسجد الجامع بقرطبة ، التي أمر بها المنصور ، وبأمر من الخليفة هشام المؤيد ، إذ كانت تجري الأوامر أحياناً بأسم الخليفة هشام ، بعد أن أدرك العمر الذي يخيل للناس انه كبر به وينبغي أن تصدر الأوامر عنه ، لكن في الحقيقة كان وراء كل ما صدر عنه من أوامر في الغالب ، هو حاجبه المنصور محمد بن أبي عامر ، الذي أستأثر بكل السلطات ، إذ أمر المنصور بالزيادة ، بعد ازدياد عدد السكان في قرطبة ، زيادة كبيرة ، نتيجة للاستقرار والرخاء الاقتصادي ، وازدياد عدد الوافدين إليها من قبائل البربر من العدوة وافريقية فضاق المسجد بالمصلين [١٩٣].

الزيادة بعرض المسجد الجامع : إن الزيادة الأولى كانت في عرض المسجد من جهة الشرق ثمانين ذراعاً ، فتم عرضه مائتي وثلاثين ذراعاً ، وكان عدد بلاطاته أحد عشر بلاطاً ، عرض أوسطها ستة عشر ذراعاً وعرض كل واحد من اللذين يليانه غرباً وشرقاً أربعة عشر ذراعاً ، وعرض كل واحد من الستة الباقية أحد عشر ذراعاً [١٩٤] .

وجه الحاجب المنصور بالزيادة فيه ثماني بلاطات ، عرض كل واحدة منها عشرة أذرع ، وطول الصحن من المشرق إلى المغرب مئة وثمانية وعشرون ذراعاً ، وطوله من القبلة إلى الجوف مئة وخمسة أذرع ، وعرض السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع [١٩٥].

هذه الزيادة كانت بشرقي الجامع ، في عهد الخليفة هشام المؤيد ، أوصلت الجانب الغربي للمسجد بقصر الخلافة ، فبدأ الحاجب المنصور بأمره على بلاطات تمتد بطول المسجد من أوله إلى آخره ، وقصد من ذلك المبالغة في الإتقان وإحكام البنية من دون الزخرفة ، وإن كانت لا تقل عن بقية الزيادات روعة وجمالاً ، ما عدا الزيادة التي أمر بها الخليفة الحكم [١٩٦] .

استدعت هذه الزيادة ، إدخال عدد من الدور القائمة ، في شرقي الجامع بها ، لذلك كان أول ما عمله الحاجب المنصور هو تطييب نفوس أصحاب الدور الداخلة في هذه الزيادة ، وتعويضهم بالأموال ، فكان يؤتى بصاحب الدار فيقال له : إن هذه الدار التي لك أريد ابتياعها لجماعة المسلمين من مالهم ومن فيئهم لتزاد في جامعهم وموضع صلاتهم ، فأطلب ما شئت ، فإذا ذكر له أقصى الثمن ، أمر أن يضاعف له ، وأن يتم تعويضه بدار تشترى له ، حتى أتي بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت : لا أقبل تعويضاً إلا داراً بنخلة ، فقال الحاجب تبتاع لها داراً بنخلة ، ولو ذهب فيها بيت المال ، فأشتريت لها دار بنخلة ، وبولغ في الثمن [١٩٧] .

عدد السواري والثريات في المسجد : أما عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه ، ما بين كبيرة وصغيرة ، ألف وأربع مائة وسبع عشرة سارية ، وعدد ثريات الجامع ما بين الكبيرة منها والصغيرة ، مائتان وثمانون ثريا ، بعد أن كانت مائة وثلاثة عشر ثريا ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف وأربعمائة وخمس وعشرون كأساً ، وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس عشرة أرباع أو نحوها ، وما يحتاج إليه من الكتان في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار [١٩٨] .

وضع الجب وزيادات أخرى : وجه الحاجب المنصور بوضع جب عظيم قدره ، في صحن الجامع الواسع فناؤه ، وهو الذي رتب إحراق الشمع بالجامع ، وزيادة للزيت ، فتطابق بذلك النوران [١٩٩] ، كما أمر الحاجب المنصور بزيادة تسعة عشر بهواً على أبهاء المسجد الجامع [٢٠٠] .

استغرقت الزيادة التي وجه بها الحاجب المنصور عامين ونصف العام مكلفاً بها من قبل الخليفة هشام المؤيد ، وكان المنصور يعمل بنفسه في هذه الزيادات [٢٠١] .

المشتغلون بالمسجد : ذكر ابن عذارى عدد من كان يخدم في مسجد قرطبة الجامع ، في دولة ابن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ) ، ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين ، مائة وتسعة وخمسين شخصاً [٢٠٢] . وهذا عدد كبير غير انه يتناسب مع ما استقر عليه حال المسجد الجامع بقرطبة من سعة ، وما أصبح قادراً على استيعابه من أعداد المصلين المتزايدة وما كان يحتاج إليه المسجد الجامع من أعمال خدمية تليق به وبجموع المصلين الذين كانوا يؤدون فيه صلواتهم وخصوصاً صلاة الجمعة .

وهكذا بدى مسجد قرطبة الجامع واحداً من أعظم المساجد الإسلامية الجامعة ، إذ بلغ طول الجامع (مائة باع) وعرضه (ثمانون باع ونصف) وعدد سواريه (١٤١٧) سارية . واستقر بناء المسجد الجامع بقرطبة ، على الحال التي وصل إليها في عهد الخليفة هشام ، ولم تذكر المصادر بعد عهده ، ومنذ اندلاع الفتنة ، في أواخر القرن الرابع الهجري ، أية زيادات فيه أو أية أعمال للصيانة ، مع توقعنا انه لا بد أن شهد في القرون اللاحقة أعمال صيانة ، لكن محدوديتها ، كما يبدو ، لم تحفل بذكرها المصادر .

-٦-
موارد الإنفاق وأوجه الصرف على مسجد قرطبة الجامع في عهد الخلافة

كما سبق أن ذكرنا ، أن عهد الخلافة تميز بالاستقرار والرخاء الاقتصادي ، بعد وصول الأمير والخليفة عبد الرحمن الثالث إلى الحكم ، إذ أعاد الوحدة الوطنية وبسط الأمن في البلاد ، بعد جهود كبيرة ، استمرت مدة تزيد على ستة عشر عاماً ، عم بعدها الرخاء الاقتصادي ، واتجه الخليفة الناصر إلى رعاية الحركة العمرانية في البلاد . وكانت المدة التي تولى بها أمر الأندلس ، خمسين سنة وأربعة أشهر ، قد أتاحت له الوقت الكافي للقيام بأعمال عمرانية جليلة خالدة ، فكان بحق رجل حضارة وثقافة وعمران ، كما هو رجل سياسة و حرب .

في بنائه للصومعة في المسجد وبنيان الوجه لبلاطات المسجد الإحدى عشر أنفق الخليفة الناصر سبعة أمداء وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية [٢٠٣].

خصص الخليفة الناصر ثلث جباية الأقاليم والكور والقرى للبناء [٢٠٤]، مما يدل على عنايته بأمر الحركة العمرانية ، ويبدو هذا واضحاً إذا أجرينا موازنة بين تخصيصاته للبناء والتخصيصات في عهد الإمارة . إذ بلغ ما خصصه للجند الثلث من جباية الأقاليم بينما لم يخصص سوى سبعة أمداء وكيلين ونصف من الدراهم القاسمية لبناء المسجد الجامع بقرطبة .

أما بالنسبة للأنفاق على مسجد قرطبة الجامع ، في عهد الخليفة الحكم المستنصر ، فقد بلغت النفقة فيه إلى مائتي وواحد وستين ألف دينار وخمسمائة وثلاثين ديناراً ودرهم ونصف ، وهذا ما وجد بخط الخليفة الحكم ، بعد إكمال المسجد سنة (٣٥٥ هـ) [٢٠٥]. وهو أمر يشير إلى عناية الخليفة بشأن بناء المسجد الجامع ، فكان يشرف بنفسه على بنائه وعلى الصرف عليه وتسجيل هذا المصروف بدقة حتى ذكر نصف الدرهم الذي صرف عليه ، بل وصل الأمر إلى ذكر ثلث الدرهم كما سنأتي على ذكر ذلك .وهو مؤشر على نضوج مؤسسات الدولة ، ودقة أداء أعمالها في عهد هذا الخليفة .

أما مبلغ النفقة على المنبر فقد بلغت خمسة وثلاثين ألف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وثلث درهم [٢٠٦] . أورد المقري التلمساني أن من جملة ما صرف على المنبر كان عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالاً [٢٠٧] .

وبعد اكتمال الزيادة التي أمر بها الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله امتنع الناس عن الصلاة في المسجد الجامع بقرطبة وعندما بلغ الخليفة الحكم ذلك سأل عن السبب فقيل له إن الناس يقولون ما ندري هذه الدراهم التي أنفقها في هذا البنيان ، من أين اكتسبها ؟ فأستحضر الخليفة الحكم الشهود والقاضي أبا الحكم المنذر بن سعيد البلوطي[٢٠٨]، واستقبل القبلة وحلف باليمين الشرعي الذي جرت العادة به انه ما أنفق فيه درهماً إلا من خمس الغنائم وحينئذ صلى الناس في المسجد [٢٠٩].

دليل هذا الكلام انه عندما أمر الخليفة الحكم بالزيادة في المسجد أتى بالقاضي المنذر بن سعيد البلوطي إلى المسجد الجامع ومعه صاحب الأحباس والفقهاء والعدول بما اجتمع قبله من أموال الأحباس فنظروا في أمر الزيادة فيه [٢١٠]. وواضح أن الخليفة الحكم الثاني كان قد خصص خمس الغنائم للإنفاق على الأعمال العمرانية في المسجد الجامع .

ولم نقف في المصادر التي اطلعنا عليها ما يساعد على ذكر ما تم إنفاقه على المسجد الجامع في عهد الخليفة هشام المؤيد ، الذي كانت الأوامر تصدر بأسمه فقط من قبل الحاجب المنصور ، الذي لم تذكر المصادر أرقاماً محددة في إنفاقه على مسجد قرطبة الجامع . ونتوقع إن المبالغ التي تم إنفاقها ، في مدة حجابة المنصور ، على مسجد قرطبة الجامع ، كانت كبيرة جداً بسبب كثرة الأعمال التي خص بها المسجد.

-٧-
الخصائص المعمارية وفنون الزخرفة المستخدمة ببناء مسجد قرطبة الجامع في عهد الخلافة

إن التراث العربي الإسلامي ومظاهر الحضارة العربية الإسلامية بائنان للزائر لأسبانيا الحديثة ، هذا الإرث الحضاري ، وهذه المظاهر والمعطيات بدأت بالتشكل منذ فتح العرب المسلمين للبلاد في سنة (٩٢هـ - ٧١١م) واستمر حتى سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) .

ترك العرب المسلمون طابعاً فنياً ومعمارياً غنياً على كل التراث الأندلسي ، فأبرز الآثار المعمارية لا يزال موجوداً إلى الآن في تلك البلاد ، وهو مسجد قرطبة الجامع.

فعلى الرغم من استفادة المسلمين بعض الشئ في فن الزخرفة من حضارات الأغريق والرومان القديمة ، إلا أن المسلمين طوروا كل ذلك وبلوروه بنمط جديد وهذا واضح في فنون الزخرفة التي استخدمت في المسجد ، وكان يدخل في هذا المجال عناصر مهمة ، أهمها الخط العربي وجمال أشكاله ، والزخارف بكل أنواعها ، ثم الأشكال والأنماط الجمالية المتعددة التي تحاكي أنواع النباتات والزهور .

إن نمط العمارة في طابعه العربي الإسلامي المحض ، هو الذي استخدم في تشييد المساجد ، إذ ان الآجر العربي والرخام والمرمر والجبس الزخرفي هي المواد المفضلة لبناء بيوت الله [٢١١].

كان الأصل الذي اتبع في بناء المساجد جميعها هو مشابهتها لمسجد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، والذي كان عبارة عن جناحين أحدهما مغطى والآخر مفتوح على الهواء . إن هذا المخطط البسيط تم تطويره تدريجياً إلى أن تحول إلى مسجد جامع ، بغية أداء وظائفه التي من أجلها أنشأ خدمة لعامة المسلمين[٢١٢].

إن مسجد قرطبة الجامع رائع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، إذ إنه يترك انطباعاً مؤثراً لدى الزائر له ، حيث يحتوي على حوالي ألف وأربعمائة عمود وقوس في منتهى الروعة ، ويعد معلماً حضارياً راقياً لا مثيل له ويعبر بحق عما وصل إليه فن العمارة من براعة ، في عهد أمراء وخلفاء بني أمية ، فتلك الغابة المنمقة من الأعمدة والأقواس بين أركان المسجد الأربعة تعد بلا شك من أفخر وأروع بنيان شيد على مر التاريخ لأداء مناسك العبادة [٢١٣] . أتخذ الفن الإسلامي وهو في سبيل تقدمه من جديد بالفنون الزخرفية شكلاً متمايز المعالم وطابعاً خاصاً واضحاً ، إذ سرعان ما أصبح العرب المسلمون أعظم البنائين ، وأنبتت عبقريتهم آراء هندسية ذات مفاهيم فنية دقيقة . كان النحاتون على الصخر والحفارون في الخشب وغيرها من المواد عظيمي المهارة [٢١٤].

٨-
الخصائص المعمارية لمسجد قرطبة الجامع

الأعمدة : أول ما يلاحظ في مسجد قرطبة الجامع ، هو كثرة الأعمدة ، وكلها من الرخام [٢١٥] ، فقد بلغت ألف وأربعمائة وسبعة عشر سارية ، منها بداخل المقصورة مائة وتسع عشرة سارية [٢١٦]، والعمود أو السارية يعد أهم عنصر معماري في هذا المسجد ، وأعمدة المسجد بعضها كان مأخوذاً من بقايا الكنائس القديمة ، والبعض الآخر جلب من بلاد المغرب الأقصى ، كما في زيادة الخليفة الحكم ، وزيادة الحاجب المنصور ، وهي من الرخام وألوانها الأزرق والنيلي والأحمر والوردي والأخضر والأبيض ، وهي مرتبة بشكل دقيق [٢١٧] .

العقود : وهذه الميزة الثانية في مسجد قرطبة الجامع ، إذ تميز بكثرة العقود المستخدمة فيه ، وهذا ناجم من قصر الأعمدة وتقاربها ، لذلك عمد البناؤن إلى استخدام العقد المتجاوز ، الذي يشبه حدوة الحصان ، إذ تتجاوز فتحته أكثر من نصف دائرة ، إلا أنهم اكتشفوا أن هذا غير كاف لإدخال الضوء ، لذلك ابتكروا بناء العقد المزدوج ، وبهذا أصبح الضوء يدخل بكمية أكبر إلى بيت الصلاة الواسع المساحة [٢١٨].

وبلغ عدد العقود ثلاثمائة ونحو ستين طاقاً ، على عدد أيام السنة ، وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق [٢١٩] ، فضلاً عن ذلك تم استخدام أشكال عديدة من العقود منها المفصصة بثلاثة فصوص و خمسة و سبعة وكذلك العقود المتشابكة والمتداخلة والمسننة ، وهي كلها قائمة على فكرة إسلامية ، هي فكرة التجزءةالهندسية ، فبدت العقود كأنها ستار تتدلى من السقف ، وهو أقصى ما يصل إليه العنصر المعماري[٢٢٠].

أما مادة البناء فقد تميزت باستخدام الآجر الأحمر والأبيض ، وهذا مما يؤدي إلى إنتاج زخرفي ملون واقتصادي في البناء [٢٢١] .

الدعامات : تميز البناء في مسجد قرطبة الجامع ، باستخدام الدعامات ، لكي تحمل بناء العقد الثاني ، وقد اتبع هذا النظام في كل الزيادات ،إذ ان وضع الدعامات فوق الأعمدة يدل على جرأة البناء حيث جعل السقف والأعمدة والدعامات تشبه جسراً معلقاً و أن ارتكاز السقف على هذه الدعامات التي تقوم على أعمدة صغيرة يعد ابتكاراً معمارياً جريئاً نفذ بطريقة زخرفية بالغة الذكاء [٢٢٢] .

المحراب : يعد من العناصر المعمارية البديعة ، حرص الأمراء والخلفاء من بعدهم على إظهاره بأحسن ما يكون ، وإن كان اتجاهه مائلاً بعض الشئ عن اتجاه القبلة الصحيح ، إلا إنه كان يمثل صورة تعكس إزدهار عصر الخلافة ، ولا سيما ان الخليفة الحكم المستنصر هو الذي أمر بالشروع في إعادة بناء بنيانه محرابه العظيم ، الذي يعد من أجمل المحاريب الإسلامية قاطبة [٢٢٣]. وعلى جانبي المحراب لوحتان رخاميتان محلاتان بتفريعات المراوح النخلية وأشجار الحياة وهي رائعة من روائع فن النحت [٢٢٤] .

القباب : أما عن القباب والتي تعد من الخصائص المعمارية المهمة في مسجد قرطبة الجامع ، فيعود إنشاؤها إلى عهد الخليفة الحكم المستنصر، فزيادته في المسجد من أعظم الزيادات وأروعها ، كان عددها أربع قباب ، الأولى قبة المحراب وهي بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة قد أحكمت وانزلت في موضعها بأتم صنعة[٢٢٥].

أما القبتان اللتان على جانبيه ، فقد تم إتباع أسلوب واحد في تخطيطها ،والقبتان قائمتان على مقرنصات زخرفية ، أما القبة الرابعة وهي القبة التي تتصدر المحراب فهي قبة مضلعة قائمة على قاعدة مثمنة يدور حولها شريط من الكتابة الكوفية[٢٢٦].

السقف : كانت سقوف المسجد مسطحة وهي بشكل ألواح خشبية مصفوفة ومثبتة بالجص تكسوها زخارف هندسية متنوعة وهي بالرغم من كثرتها فهي لا تشبه الواحدة منها الأخرى وهي مزينة بآيات من القرآن الكريم وقد غطيت السقوف من الخارج بهياكل مسنمة هرمية الشكل تكون على امتداد البلاطات تاركة بينها قنوات مقعرة تجري فيها مياه الأمطار [٢٢٧].

الصحن : وهو عبارة عن فناء واسع مزروع بأشجار البرتقال والنارنج وما يزال يحمل اسمه القديم فناء النارنج (patio delos narnjas) وما زالت أشجار البرتقال في صحنه حيث أعيد غرسه وتنظيمه وأضيفت له بضع نخلات ونافورة يجري فيها الماء [٢٢٨] ، و كان للمسجد ميضأة عظيمة تتوسط الفناء وأول من أقام بناءها الأمير هشام بن عبد الرحمن وقد جرت تطورات على بناءها فيما بعد [٢٢٩] .

السور الخارجي : لا زال السور موجوداً الآن يحيط بالمسجد ، وهو سور عظيم يشكل جداراً ضخماً ارتفاعه عشرة أمتار ، مبني بكتل الحجارة الثقيلة المسندة بدعامات ضخمة ، تبلغ

المسافة ما بين الواحدة والأخرى ما يقرب عشرة أمتار [٢٣٠].

الأبواب : يمتاز مسجد قرطبة الجامع بكثرة أبوابه ومداخله ، فقد بلغ عدد أبوابه الكبار والصغار واحداً وعشرين باباً ، وكان للنساء باب خاص بهم يشرع إلى مقاصيرهن ، وكان هناك باب بداخل المقصورة المتخذة في قبلة الجامع ، وهو متصل بالساباط المفضي إلى قصر الخلافة منه ، كان الخليفة يخرج من القصر إلى الجامع لشهود صلاة الجمعة ، وكانت الأبواب جميعها ملبسة بالنحاس الأصفر[٢٣١]، وتعد هذه الأبواب من الروائع التي يمتاز بها المسجد وهذا يدل على مدى الاهتمام بمداخل المساجد [٢٣٢] .

المئذنة : ومن خصائص المسجد الأخرى المئذنة ، إذ تم بناؤها في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن [٢٣٣]، و تم إصلاحها وترميمها في عهد بقية الأمراء والخلفاء ، إلى أن أقيمت بشكلها النهائي في عهد الخليفة الناصر حيث هدمت المنارة القديمة ، وبنيت في محلها مئذنة جديدة تليق بمساحة مسجد قرطبة الجامع وحجمه ومكانته في عهد الخلافة [٢٣٤].

الزخارف : إن الزخارف التي استخدمت في مسجد قرطبة الجامع تعد من أهم الزخارف الإسلامية ، فهي ملمة بكل أنواع الزخرفة إذ انها بلغت أرقى مراحلها وأعلاها من ناحية الصناعة والفن ، فمن ناحية مادة الزخارف فهي منوعة من الجص والحجر والآجر والخشب وكان منها ما هو مرصع بالذهب والفضة [٢٣٥] ، وكانت الزخارف توجد في معظم أجزاء المسجد ، لكنها كانت في المحراب والمداخل والسقف والأبواب [٢٣٦] .

أما أشكال الزخارف فكانت متنوعة ، منها أشكال هندسية من دوائر ومثلثات ومربعات ، و منها أشكال كتابية وبخطوط ومنها زخارف نباتية وهي التي تغلب على كل الزخارف [٢٣٧] .

إن أهم زخارف المسجد هي الفسيفساء ، وهي مثال رائع للفسيفساء الأندلسية ، ومازالت محتفظة ببريقها ورونقها ، وهي تتضمن نصوصاً مؤرخة مكتوبة بالخط الكوفي باسم الخليفة الحكم المستنصر ، وتاريخ زيادته للمسجد الجامع ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنها هدية من ملك بيزنطة إلى الخليفة الحكم وموضوعاتها نباتية مبسطة وفيها كتابات ، وألوانها البنفسجي والأبيض والأسود والأخضر الفاتح والأصفر ، صنعت على أرضية زرقاء حددت بحدود ذهبية وفضية [٢٣٨] .

أما اللوحات الرخامية فأهمها لوحتان مثبتتان على جانبي المحراب ، تعد أروع مثال للزخارف المحفورة ، وعناصرها الزخرفية نباتية قوامها فروع نباتية ملتفة ، تحف بها مراوح نخيلية تتوسطها الزخرفة المعروفة بـ (شجرة الحياة) حفرت حفراً عميقاً [٢٣٩] ، ولا يزال قائماً في عضادتي المحراب عمودان مندمجان فيها وقد حفظت كما تحفظ القطع الفنية القيمة [٢٤٠] . وهي أربعة اثنتان خضراوتان واثنتان ورديتان لا تقدر قيمتهما لنفاستهما [٢٤١].

أما زخارف القباب فهي فضلاً عن استعمال المحارة كعنصر زخرفي في قبة المحراب فان زخارف بقية القباب هي قطع فنية كاملة [٢٤٢] ، والشرفات كلها من الرخام الرمادي ، وهي بشكل هرمي والسقف كانت زخارفه بشكل ألواح زخارفها محفورة لا تتشابه ، وكانت موضوعاتها هندسية وأشكالها مختلفة وقد لونت بأصباغ رائعة [٢٤٣].

وفي هذا أورد ابن سعيد والمقري ان المنبر مركب من ستة وثلاثين ألف وصل ، قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير من الذهب والفضة وفي بعضها نفيس الأحجار وكان عدد درجاته تسع درجات ، تم صنعه ونقشه في سبع سنين [٢٤٤].

-٩-
الأثر المعماري لمسجد قرطبة الجامع على المساجد الإسلامية وعلى العمارة النصرانية

يعد مسجد قرطبة الجامع من أعظم الصروح المعمارية والحضارية ، فهو أستاذ المساجد التي أقيمت بعد ذلك في الأندلس في عصورها التالية ، فمن هذا المسجد أخذ نظام القباب ذات الضلوع ، واشتق نظام البلاطات المتجهة عمودياً على جدار القبلة ، ومن تخطيطه اشتقت تخطيطات المساجد الأخرى ، فمثلاً جامع الباب المردوم بطليطلة ، يضم تسع قباب وقبوات تقوم جميعاً على الضلوع المتقاطعة ، وجامع اشبيلية الموحدي أخذ من جامع قرطبة مظهره الخارجي ، واتساع صحنه بعقوده السبعة ، ونظام عقوده وأسلوب زخارفه [٢٤٥].

أما في المشرق وفي مصر تحديداً ، فظهر أثر إسلامي وصلته تأثيرات مسجد قرطبة الجامع ، هو جامع ابن طولون فمئذنة الجامع تبدو عقوداً قرطبية من النوع الشائع في جامع قرطبة [٢٤٦]، وفي المغرب اتبعت الطريقة نفسها بالنسبة إلى المنبر في الأندلس[٢٤٧].

أما تأثيراته في العمارة المسيحية ، فقد تغلغلت آثار هذا الصرح العظيم في اسبانيا النصرانية ، ومنها انطلقت إلى مقاطعات فرنسا الجنوبية ، إذ تجلت هذه التأثيرات في كنائس جاسكونيا ولانجروك وأكيتانيا ونورماندي [٢٤٨].

الهوامش:

*هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة:مسجد قرطبة الجامع ودوره الحضاري(٩٢-٦٣٣هـ/٧١١-١٢٣٦م)،والمقدمة من الباحث الثاني في هذه الدراسة،الى مجلس كلية الآداب بجامعة الأنبار سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م،وبإشراف الباحث الأول .

(١) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ،تحق:رضوان محمد رضوان،دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-١٩٨٣،٢٧٣/١ ؛أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحق:محمد أبو الفضل ابراهيم،ط٢-دار المعارف-مصر-بلا٠ت،٦/٤٥٤-٤٦٨ ؛ مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، تحق:ابراهيم الابياري ،ط١-دار الكتاب المصري-القاهرة ودار الكتاب اللبناني-بيروت-١٩٨٩، ٣-٦ ؛ أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز ابن القوطية (ت٣٦٧هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحق:ابراهيم الابياري ،ط١-دار الكتاب المصري-القاهرة ودار الكتاب اللبناني-بيروت-١٩٨٩ ٣٣-٣٤ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري (أواسط القرن السادس الهجري) ، " كتاب الجغرافية "، تحق: محمد حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية – دمشق (المعهد الفرنسي) - ١٩٦٨ ، ٢١/ ٢١٤ ؛ أبو الحسن علي بن عبدالواحد الشيباني ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر-بيروت-١٩٧٨، ٤/٥٦٢-٥٦٣ .

(٣)الزهري ، كتاب الجغرافية ، ١٩٦٨ ، ٢١/ ٢١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٥٦٢/٤-٥٦٣ .
(٤) عن مشاطرة الروم كنائسهم ، ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٤٤٠/٣ .
(٥) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري(ت١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحق:احسان عباس-دار صادر-بيروت-١٩٦٨، ٥٦٠/١ (برواية أحمد الرازي (ت٣٤٤هـ) عن الفقيه عيسى بن دينار ؛ أبو عبد الله المراكشي ابن عذارى (ت٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٢ط٢-دار صادر-بيروت-١٩٥٠،٣٤١/ .
(٦) المقري ، نفح الطيب ، ٨/٣ ؛ عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ١٥٢-١٥٣ ؛ نجلة العزي ، مسجد قرطبة سيد المساجد ، مجلة آفاق عربية – ع ١٠ – ١٩٧٨ ، ٨٠-٨١ .
(٧) هو عبد الله بن يزيد ، تابعي جليل يروي عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر(رضي) وروى عنه عقبة بن نافع ، دخل الأندلس عند الفتح عداده في المصريين ٠ ينظر :عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي(ت٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس ، ١ تحق:إبراهيم الابياري ،ط١-دار الكتاب المصري-القاهرة ودار الكتاب اللبناني-بيروت-١٩٨٩/٢٥٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٩/٣ ٠
(٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ١١ ٠
(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ٤٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٤٠/٣ ٠
(١٠) لمزيد من التفاصيل ينظر:أصل هذه الدراسة:مسجد قرطبة الجامع ودوره الحضاري.
(١١) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، (ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تح: محمد سعيد العريان ، دار الفكر – بيروت – بلا٠ت ، ٢١٤/٥؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٩- ٢٠ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٥٤-٥٧ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٦/١؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٨/١ ٠
(١٢) محمد بن علي ابن الشباط ، (ت ٦٨١هـ) ، قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، نشره : أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية – مدريد – ١٩٦٧ – ١٩٦٨ ، ١١٣/١٤ ؛ عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين ، (ت ٧٣٢هـ) ، تقويم البلدان ، عناية وتصحيح : رينود والبارون ماك توكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية – باريس – ١٨٥٠ ، ١٧٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٥٨/١ ٠
(١٣) ابو القاسم عبد الله ابن خرداذبة ، (ت بحدود سنة ٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل – ليدن – ١٨٨٩ ، ٨٩ ؛ شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المقدسي ، (ت ٣٩١هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢-مطبعة بريل – ليدن – ١٩٠٩ ، ٢٢٩ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٢٢/١ ؛ زكريا بن محمد ٠بن محمود القزويني ، (ت ٦٢٨هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت – ١٩٦٥ ، ٥٥٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٥٥/١-٤٥٦ ٠
(١٤) المقري ، نفح الطيب ، ٤٦٦/١-٤٦٧ ؛جودة هلال ومحمد محمود صبح ، قرطبة في التاريخ الإسلامي ، دار القلم – القاهرة – ١٩٦٢ ، ٢٩ ٠
(١٥) هلال وصبح ، قرطبة في التاريخ الإسلامي ، ٢٩ ٠
(١٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٥٦ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٢٣/٤ ٠
(١٧) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٠/١ ٠
(١٨) المقري ، نفح الطيب ، ١٥٣/١ ٠
(١٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤١/٢-٣٤٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٠/١ ٠
(٢٠) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٠/١ ٠
(٢١) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، (ت ٣١٥) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب – الدار البيضاء – ١٩٥٤ ، ٩٩/١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١١٨/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٢٣٤/١ ٠
(٢٢) المقري ، نفح الطيب ، ٤٥٨/١ ٠
(٢٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤١/٢- ٣٤٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٠/١ ٠
(٢٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤١/٢-٣٤٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١/ ٥٦٠ ٠
(٢٥) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، بيروت – ١٩٧١ ، ١٨٢/١ ٠
(٢٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٢/٢؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٢١/٤ ٠
(٢٧) المقري ، ٥٦١/١ ٠
(٢٨) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٥/١ ؛ عبد العزيز الدولاني ، مسجد قرطبة وقصر الحمراء ، بيروت – بلا٠ت ، ٣٨٤ ٠
(٢٩) أبو عبد الله عبد المنعم الحميري ، (توفي نحو ٧١٠ هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: إحسان عباس ، مكتبة لبنان – دار العلم للطباعة – لبنان – ١٩٧٥ ، ٤٥٧ ٠
(٣٠) وهو أبو عبد الله صعصعة بن سلام الشامي يروي عن الإمام الاوزاعي ولي الصلاة بقرطبة بعد قدومه من مصر وكان أول من أدخل الحديث إلى الأندلس ٠ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٢٤٠/١ ٠
(٣١) كان الإمام مالك وأصحابه يكرهون هذا العمل وهو غرس الأشجار بالمسجد الجامع لكن برغم ذلك استمر غرس الأشجار بالمسجد طيلة عهود الأمراء والخلفاء الأمويين مع إن الأندلس كانت مالكية ٠ ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٢٤٠/١ ٠
(٣٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٢٢٨/١ ٠
(٣٣) الحميري ، الروض المعطار ، ٤٥٦-٤٥٧٠ أدناه : ملحق بصور من عمارة مسجد قرطبة الجامع ونقوشه ولوحاته ، لوحة رقم (٥) و (١١) ٠
(٣٤) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية : أمين فارس ، ط٢ – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٧٩ ، ٢٩٦ ٠
(٣٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٥/٥ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٢٧/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٩/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ١٦/١ ٠
(٣٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٥٤-٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٤٩٨/٥-٤٩٩ ٠
(٣٧) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٠٩ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٢٥/٤ ٠
(٣٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٨/١ ٠
(٣٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٢٠ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ٦٢ ٠ (إن عمل الأمير هشام المذكور في المتن بتخصيص الأرزاق لأسر الشهداء يماثل ما يعرف اليوم بمنح الراتب التقاعدي لأسر الشهداء) ٠
(٤٠) الناصري ، الاستقصا ، ٦١/١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٥٨/٢ ؛ أحمد بدر ، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، دمشق – ١٩٧٢ ، ١٧ ٠
(٤١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٢/٢ ٠
(٤٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٨/١ ٠ أدناه جدول رقم (٣) ٠
(٤٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٢/٢ ٠
(٤٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠١/٢؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣١٧/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٠ ٠
(٤٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٢٨/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٩/١
(٤٦) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٢٥ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٤ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٩/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٤/١ ٠
(٤٧) أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ابن حوقل ، (ت٣٦٧هـ) ، صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – ١٩٧٩ ، ١٠٨؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٣٢٤/٤ ٠
(٤٨) الحموي ، معجم البلدان ، ٣٢٤/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٥٨/١ ٠

(٤٩) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ .

(٥٠) أبو عبد الله البكري ، (ت٤٨٧هـ) ، المسالك والممالك ، تح: عبد الرحمن علي الحجي ، ط١ - دار الإرشاد للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٦٨ ، ١٠٤-١٠٥ .

(٥١) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١١٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ .

(٥٢) المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ .

(٥٣) المقري ، نفح الطيب ، ١/ ٥٤٧ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ .

(٥٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٨/٥ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٢٨/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٩/١ .

(٥٥) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٣٥ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٥ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٩/١ .

(٥٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٥ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تح: مكي ، ٢؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٠/٦ .

(٥٧) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٢٤ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٦٠/١

(٥٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٨ ؛ المقري ، ابن خلدون ، العبر ، ٢٨١/٤- ٢٨٢ ، نفح الطيب ، ٣٤٥/١- ٣٤٦ .

(٥٩) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٤٦/١ .

(٦٠) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١١٣ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تح: عبد الرحمن علي الحجي ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ١٩٧٣ ، ٢٤٥؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ .

(٦١) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١١٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٧/١ .

(٦٢) بدر ، دراسات ، ١٧ .

(٦٣) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٠ .

(٦٤) ابن حيان ، المقتبس ، تح: الحجي ، ٢٤٣ . أدناه جدول رقم (٣) .

(٦٥) ابن حيان ، المقتبس ، تح: الحجي ، ٢٤٣-٢٤٤ .

(٦٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تح :الحجي ، ٢٤٣-٢٤٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٢٤٥/١ .

(٦٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٢/٢-٣٤٣ . أدناه جدول رقم (٣) .

(٦٨) ابن حيان ، المقتبس ، تح: الحجي ، ٢٤٥ .

(٦٩) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تح: الحجي ، ٢٤٥-٢٤٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٥/١ .

(٧٠) العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٢٣-٢٢٤ .

(٧١) هو عثمان بن المثنى النحوي ، رحل من الأندلس إلى المشرق ولقي أبا تمام وروى عنه شعره . ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣٤٦/١ .

(٧٢) المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٨/١ .

(٧٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥/ ٢١٨ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٩/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٠/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٦/١ .

(٧٤) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٢٦ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٨٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٤١/٧ .

(٧٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٠/٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ٢٩٠ .

(٧٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٩٧/٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٣٠/٤ .

(٧٧) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ١٠٠-١٠١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٢٨/٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٥٠/١-٣٥١ .

(٧٨) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٤١-١٤٢ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ١٠٨ .

(٧٩) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٨٦-٨٧ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تح: مكي ، ٢٢٦ .

(٨٠) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٧٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٤٣/٢ .

(٨١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٣/٢ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ .

(٨٢) هو أبو عمران موسى بن سعيد . ينظر : ابن سعيد ، المغرب ، ٣/١-٤ (مقدمة المحقق) ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٨٢-١٨٣ .

(٨٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٨٨ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٣/٢ .

(٨٤) ابن حيان ، المقتبس ، تح: الحجي ، ٢٤٦ .

(٨٥) العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٢٤ .

(٨٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢١/٥ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣٠/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٠/١-٤١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٧/١ .

(٨٧) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٣٢ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ١١٣ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٣٠/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤١/١؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٧/١ .

(٨٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥/؛ ٢٢١ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٣٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٣/ ١٤٠ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٢٣/٢ .

(٨٩) المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١ .

(٩٠) محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي ،(توفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، القاهرة – ١٩٦٣ ، ٤٤ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٣/٢ .

(٩١) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٨٩/١ .

(٩٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٣/٢ .

(٩٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٢/٥ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٣٠/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤١/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٨/١ .

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تح: الأب ملشورم ; انطونيا ، الخزانة البدليانة بأكسفورد – مطبعة بولس كتنز الكتبي – باريس – ١٩٣٧ ، ٣٣/٣ . (برواية أحمد الرازي) ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤١/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٨/١ .

(٩٥) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٣٢ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ١١٥-١١٦ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤١/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٨/١ .

(٩٦) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٤/٤؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٥٢/١ .

(٩٧) الساباط : هو الممر المعقود الذي يوصل بين المسجد والقصر لدخول الأمير منه للصلاة .ينظر : العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ .

(٩٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٢/٥ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٣/٢-٣٤٤ .

(٩٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٢/٥ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٢٩/٢ .

(١٠٠) المقتبس ، تح: الأب ملشورم ، ٣٦/٣-٣٧ .

(١٠١) إبن حيان ، المقتبس ، تح: الأب ملشورم ، ٣٤/٣ .

(١٠٢) الوازنة : هي القدرة من التمر لا يكاد الرجل يرفعها بيديه ، تكون ثلث الجلة من جلال هجر أو نصفها (حكاه أبو حنيفة) ; ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٤٦/١٣-٤٤٩ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ٧١٩ .

(١٠٣) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٥٥/٢ .

(١٠٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٢/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١ .

(١٠٥) ابن عذارى ، ٨٦/٢ . أدناه جدول رقم (١) .

(١٠٦) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٦/١ .

(١٠٧) اربونة : بفتح أوله وبضم ثم السكون وضم الباء الموحدة وسكون الواو ونون وهاء وهي مدينة بالأندلس تم افتتاحها في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن على يد القائد عبد الواحد بن مغيث . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ١٤٠/١ .

(١٠٨) جليقية : ناحية بالأندلس بسرقسطة يسقي نهرها عشرين ميلاً من باب سرقسطة وليس بالأندلس أعذب من مائه وهو يجري نحو الشرق . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ١٥٥/٢ .

(١٠٩) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٧/١ .

(١١٠) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١ .

(١١١) مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٠٩ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٢٥/٤ .

(١١٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١١٠ .

(١١٣) أعلاه من البحث ، ص ٥٥ .

(١١٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٨٨ ؛ عنان ، الآثار الباقية في أسبانيا والبرتغال ، ط٢- مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٩٧ ، ٣٠- ٣١ .

(١١٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٣/٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٣٥ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣١/١؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤١/١-٤٢ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١٩٧/٢ .

(١١٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٤/٥؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٥٣ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٣/٣

(١١٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤١/١-٤٢ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٩/١ .

(١١٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٤/٥ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي ، القاهرة – ١٩٣٨ ، ٢٨٨ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٢/١ .

(١١٩) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٢/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٩/١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١٩٨/٢؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٥٣٥/٨ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٥٧/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٥٣/١ .

(١٢٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٣/٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ١٣٦ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٢/١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١٩٧/١-١٩٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٩ .

(١٢١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٣١/٢-٢٣٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٧٩/١ . أزهار الرياض في أخبار عياض ، ت: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة – ١٩٤٠ ٢/ ٢٧١.

(١٢٢) يعرف بمرتفعات سيرامورينا . ينظر : عماد الدين إسماعيل ، تقويم البلدان ، ١٧٥ .

(١٢٣) أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ، تقويم البلدان ، ١٧٥ ؛ هلال وصبح ، قرطبة في التاريخ الإسلامي ، ٦٠ .

(١٢٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٢٥/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٦٧/٢ .

(١٢٥) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣٧؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٦٤/١ وما بعدها ؛ الحجي ، أندلسيات ، ٧٤/٢-٧٥ ؛ علي أدهم ، عبد الرحمن الناصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٢ ، ١٢٠-١٢٩ .

(١٢٦) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، (ت٤٥٦هـ) ، فضائل الأندلس وأهلها ، نشرها وقدم لها : صلاح الدين النجد ، دار الكتاب الجديد ، ٨ ؛ القرماني ، آثار الدول ، ٣١٩ .

(١٢٧) ابن حزم ، فضائل الأندلس وأهلها ، ٨ .

(١٢٨) فضائل الأندلس وأهلها ، ٥٢ .

(١٢٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٤/٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٢/١ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩٠/١ ؛ العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٢٥ .

(١٣٠) ابن عبد ربه ، العقد القريد ، ٢٢٤/٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١ .

(١٣١) المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٢/١ ؛ العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٢٥ .

(١٣٢) البكري ، المسالك والممالك ، ١٠٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٢/١ . أدناه جدول رقم (٣) .

(١٣٣) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١-٥٤٨ .

(١٣٤) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٨/١ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩٠/١ .

(١٣٥) البكري ، المسالك والممالك ، ١٠٣-١٠٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٨/١ .

(١٣٦) المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٢/١ .

(١٣٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤١/٢ ؛ العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٢٥ .

(١٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٤/٤ .

(١٣٩) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩١/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ .

(١٤٠) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩١/١ ؛ عنان ، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال ، ٣٠- ٣١

(١٤١) ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ٣١/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٢/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٠/١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٠٠/٢ .

(١٤٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٤/٥ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٢/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٠/١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٣١٢/٤ .

(١٤٣) الطبري ، تاريخ ، ٧/ ٤١٢ ؛ القرماني ، آثار الدول ، ١٤٥ .

(١٤٤) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٣/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٠/١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٠٠/١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٥/١ .

(١٤٥) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٣/١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٠٠/١؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٥/١

(١٤٦) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٠١/٢-٢٠٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٦/١ ابن خلدون ، العبر ، ٣١٧/٤ .

(١٤٧) ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ١٢١/١-١٢٩-٢٥٥ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٠٤/١ .

(١٤٨) الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٠/١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٥/١ .

(١٤٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٣٤/٢ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٠٢/١؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٨٥/١ .

(١٥٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٨٥/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٥،٥٥٦/١ .

(١٥١) البيان المغرب ، ٣٤٩/٢-٣٥٠ .

(١٥٢) المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٤/١ وما بعدها ؛ الحجي ، أندلسيات ، ٧٤/٢ .

(١٥٣) أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل ، (ت٣٨٤هـ) ، طبقات الأطباء والحكماء ، ت: فؤاد السيد ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية – القاهرة – ١٩٥٥ ، ٩٣ ؛ أبو القاسم بن محمد صاعد الأندلسي ، (ت٤٦٢هـ) ، طبقات الأمم ، مطبعة السعادة – مصر – بلا،ت ، ١٠٣ ؛ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم أبن أبي اصيبعة ،(ت ٦٦٨هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – بلا،ت ، ٤٨٢ ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمه عن الفرنسية : عادل زعيتير ، القاهرة – ١٩٥٦ ، ٤٩٠ .

(١٥٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٩/٢ ؛ الدولاني ، مسجد قرطبة ، ٣٣٩ .

(١٥٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٨/٢-٣٤٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١-٥٥٠-٥٥١ .

(١٥٦) المقري ، نفح الطيب ، ٩٧/٢ (نقلاً عن ابن سعيد) ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٠ .

(١٥٧) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥١/١ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٤/٢ .

(١٥٨) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥١/١ .

(١٥٩) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٠/١ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩٥/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٠

(١٦٠) (بقي المصحف على حاله هذا حتى آل امر إلى الموحدين فاعتنوا به وتبركوا به واهتموا به كل الاهتمام إذ اجتمع حذاق المتفننين

من المهندسين والنقاشين والمجلدين والمرقعين للعمل فيه ، وقد صنعت له خشبة نصفها من الذهب والفضة والنصف الآخر من السندس ورقعت بألوان الأحجار الغريبة النوع والشكل) ٠ ينظر : الناصري ، الاستقصا ، ١٢٦/١-١٢٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٥٤/٢ ٠

(١٦١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٤/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٨/١ ٠

(١٦٢) المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١-٥٦٢ ٠

(١٦٣) القنطار : هو معيار ، قيل : وزن أربعين أوقية من ذهب ، ويقال : ألف ومائة دينار ، وقيل : مائة وعشرون رطلاً وقال ابو عبيدة : مثقال من ذهب أو فضة ، وقال ابن عباس : ثمانون ألف درهم ٠ وقيل : هي جملة كثيرة مجهولة من المال ٠ ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١١٨/٥ ٠

(١٦٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٤/٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٤٢-٤٣ ؛ الحجي ، مع الأندلس لقاء ودعاء ، ط١-دار القلم – دمشق – بيروت – ١٩٨٠ ، ٣٥ ٠

(هنا كان واضحاً التأثيرات البيزنطية على عمارة مسجد قرطبة الجامع في هذه المرحلة) ٠

(١٦٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٥/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٥١/١ ٠

(١٦٦) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٨/١-٥٥٩ ٠

(١٦٧) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥١/١ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩٣/١ ٠

(١٦٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/ ٣٥٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٠/١ ٠

(١٦٩) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٠/١-٥٥١ ٠

(١٧٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٥/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١/ ٥٥١٠

(١٧١) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٥/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ ٠

(١٧٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٨/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٥/١ ٠

(١٧٣) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٥/١ ٠

(١٧٤) شاعر معروف له من النظم البديع وكان ممن يحضر مجلس المظفر بن أبي عامر وكان من الشعراء المتقدمين ٠ ينظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٨٤/٢ (ذكر انه توفي قبل الأربعمائة) ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ١١٩/٢؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٢٠٨/١ ٠

(١٧٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٨/٢

(١٧٦) عنان ، الآثار الباقية ، ٣٠ ٠

(١٧٧) ابن الفرضي ، تاريخ عماء الأندلس ، ٣٢/١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٦/١-٤٧ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٣/١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٦/١ (الذي خالف قوله في تحديد سن هشام إذ ذكر ان عمره كان تسع سنين) ٠

(١٧٨) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المعافري ، جده عبد الملك المعافري أحد الوجوه الذين دخلوا الأندلس مع جيش القائد طارق بن زياد ، في أول الداخلين من المغرب ٠ ينظر : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، (ت٥٤٢هـ) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ت: إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس – ١٩٧٥ ، ٣٩/٤ ؛ بن سعيد ، المغرب ، ١٩٩/١ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٥٦/٢ ٠

(١٧٩) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٤٧/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٣/١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٨/١ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ٣٠٦ ٠

(١٨٠) ابن حيان ، المقتبس ، ت: مكي ، ٦٢ ٠

(١٨١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٧٣/١-٢٧٥ ٠

(١٨٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٩٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٨/١ ٠

(١٨٣) أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي (ت بعد ٧٣٩هـ) ، مذكرات الأمير عبد الله (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) ، نشر : إ٠ليفي بروفنسال ، القاهرة – ١٩٤٨ ، ١٦ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٣١٩/٤-٣٢٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٨/١ ٠

(١٨٤) المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٨/١ ٠

(١٨٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٦٧٧/٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٣٢٠/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٨/١ ٠

(١٨٦) النباهي ، المرقبة العليا ، ١٥ ٠

(١٨٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٣٢/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ١٥٣/١ ؛ المراكشي ، المعجب ، ٣٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٧/١ ٠

(١٨٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٣١/١-١٣٢ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ١٥٣/١ ٠

(١٨٩) الشقندي ، فضائل الأندلس وأهلها ، ٣١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٨/١ ٠

(١٩٠) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٣٢/١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ١٥٣/١ ؛ المراكشي ، المعجب ، ٣٨ ٠

(١٩١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٧٥/٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٤٨/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٦٦/١-٥٧٨ ٠

(١٩٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٨٨/٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٧٦ ٠

(١٩٣) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٨/١ ٠

(١٩٤) البكري ، المسالك والممالك ، ١٠٢-١٠٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١ ٠

(١٩٥) البكري ، المسالك والممالك ، ١٠٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١ ؛ عنان ، الآثار الباقية ، ٢١ ٠

(١٩٦) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٨/١ ٠

(١٩٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٢٩/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١ أدناه جدول رقم (٣) ٠

(١٩٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٢٩/٢؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٩/١ ٠ أدناه: ملحق بصور من عمارة مسجد قرطبة الجامع ونقوشه وكتاباته ، لوحة رقم (٢) و(٥) ٠

(١٩٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٨٧/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٩/١ ٠

(٢٠٠) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٠/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١ ٠

(٢٠١) المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١ (استخدم الحاجب المنصور في هذه الزيادة أسرى الأعاجم الذين جاء بهم في أثناء غزواته من أرض قشتالة وهم مصفدين في الحديد وكانوا يتصرفون في البنيان وذلك إذلالا للشرك وعزة للإسلام) ٠ ينظر : المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٦/١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨١-٨٢ ٠ أدناه جدول رقم (٣) ٠

- بلغ الحاجب المنصور في إحدى غزواته شنت ياقب ، وهو موضع حج النصرانية ، والموضع الذي دفن فيه يعقوب الحواري ، من أقصى غليسية ، فأصابها خالية فهدمها ،ونقل أبوابها إلى مدينة قرطبة ، فجعلها في الزيادة التي أضافها إلى المسجد الأعظم ٠ ينظر : ابن خلدون ، العبر ، ١٨١/٤ ٠

(٢٠٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/ ٤٣٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٩/١ ٠

(٢٠٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٤/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٨/١-٥٤٩ ٠ أدناه جدول رقم (٢) ٠

(٢٠٤) المقري ، نفح الطيب ، ٣٧٩/١ ٠

(٢٠٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٩/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٦٢/١ ٠ أدناه جدول رقم (٢) ٠

(٢٠٦) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥١/١ ٠

(٢٠٧) نفح الطيب ، ٥٥٩/١ ٠

(٢٠٨) سمي بذلك نسبة إلى موقع قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط ٠ ولي قضاء الجامعة في قرطبة في حياة الخليفة الحكم المستنصر وكان عالماً فقيهاً أديباً بليغاً وخطيباً على المنابر في المحافل وله مؤلفات منها كتاب الابانة عن حقوق أصول الديانة ٠ ينظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٥٥٥/٢ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٦٢٠/٢؛ المراكشي ، المعجب ، ٤٩-٥٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٧٢/١ ٠

(٢٠٩) ابن سعيد ، المغرب ، ٣٨/١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٥٤٧/١ ٠

(٢١٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٢/٢ ٠

(٢١١) الفن العربي (من الإنترنيت) ، portal : www.artehistoria.com .

(٢١٢) الفـن العربـي (مـن الإنترنيـت) ، : portal www.artehistoria.com .
(٢١٣) مسجد قرطبة (من الأنترنيت) ، com: www.cyberspain . portal.
(٢١٤) كرستي ، أي ٠ ج ، الفنون الفرعية الإسلامية وتأثيرها على الفنون الأوربية بحث ضمن كتاب تراث الإسلام ، تأليف : جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس ارنولد ، عربه وعلق حواشيه : جرجيس فتح الله ، ط٢- دار الطليعة – بيروت – ١٩٧٢ ، ١٧٤ ٠
(٢١٥) العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٤١ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ٠
(٢١٦) نفح الطيب ، ٥٥٠/١ ٠
(٢١٧) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ٠ أدناه: صور من عمارة مسجد قرطبة الجامع ونقوشه وكتاباته ، لوحة رقم(١١)
(٢١٨) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ؛ الدولاني ، مسجد قرطبة ، ٣٠ ؛ كرستي ، الفنون الفرعية الإسلامية ، ٢٣٩ ؛ عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ط١-بيروت – ١٩٨٨ ؛ عبد العزيز حميد و صلاح العبيدي و أحمد قاسم ، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة – بغداد ، ٥٠ ٠
(٢١٩) المقري ، نفح الطيب ، ٥١٩/١ ٠
(٢٢٠) العميد ، آثار المغرب والأندلس ، ٢٤٣ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ٠
(٢٢١) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ٠
(٢٢٢) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ؛ كرستي ، الفنون الفرعية الاسلامية ، ١٧١ ٠
(٢٢٣) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٢ ؛ غالب ، موسوعة ، ٣٥١ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٧٠
(٢٢٤) غالب ، موسوعة ، ٣٥٢-٣٥٣ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٧ ٠
(٢٢٥) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٣ ٠ نقلاً عن : ابن غالب الأندلسي ، فرحة الأنفس ، تح: لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات ، ٢٨/١ ٠
(٢٢٦) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٣ ؛ غالب ، موسوعة ، ٣٠٩ ٠
(٢٢٧) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٤ ؛ غالب ، موسوعة ، ٢٢٦ ٠ أدناه: ملحق بصور من عمارة مسجد قرطبة الجامع ونقوشه وكتاباته ، لوحة رقم (٩) ٠
(٢٢٨) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٤ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٥ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٢٤٠ ٠
(٢٢٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠١/٢ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٥ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٢٤٠ ٠
(٢٣٠) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٤ ٠
(٢٣١) المقري ، نفح الطيب ، ٥٥٠/١ ؛ كرستي ، الفنون الفرعية الإسلامية ، ١٧١ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٧٢ ٠
(٢٣٢) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٥ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٧١ ؛ مجموعة مؤلفين ، الفنون والزخرفة ، ٥٠
(٢٣٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٤٢/٢ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٣٤٦ ٠
(٢٣٤) المقري ، نفح الطيب ، ٥٦١/١ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٥ ٠
(٢٣٥) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٦ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٦ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٢١٢ ؛ مجموعة مؤلفين ، الفنون الزخرفية ، ٥٠ ٠ أدناه : ملحق بصور من عمارة مسجد قرطبة الجامع ونقوه وكتاباته ، لوحة رقم (٦) و(١٦) ٠
(٢٣٦) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٦ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٢١٢ ؛ كرستي ، الفنون الفرعية الإسلامية ، ٥٠ ٠
(٢٣٧) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٨ ؛ غالب ، موسوعة ، ٢١٢ ؛ كرستي ، الفنون الفرعية الإسلامية ، ١٧٥
(٢٣٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣٥٤/٢ ؛ العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٨ ٠
(٢٣٩) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٨ ؛ غالب ، موسوعة العمارة ، ٢١٢ ٠
(٢٤٠) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٨ ٠ نقلاً عن جوميث مورينو ، الفن الإسلامي ، ترجمة : لطفي عبد البديع ، ٥٤
(٢٤١) المقري ، نفح الطيب ، ٩٥/٢ ٠
(٢٤٢) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٨ ؛ زغلول ، العمارة ، ٣٠٦ ٠
(٢٤٣) العزي ، مسجد قرطبة ، ٨٨ ٠
(٢٤٤) نفح الطيب ، ٥٥٢/١ ٠
(٢٤٥) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩٩/١ ٠
(٢٤٦) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٤٠٠/١ ٠
(٢٤٧) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ٣٩٣/١ ٠
(٢٤٨) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ١/ ٤٠٠ ٠